علامات التجزئة في المصحف الشريف

في ضوء الاتساق النصي

إعداد

د / محمد أحمد محمد أحمد

تمهيد

النص القرآني "التماسك والتجزئة"

النص وحدة كلية مترابطة الأجزاء، تتوالى الجمل فيها وفق نظام، وتُسهم كل جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب، بل من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى[١]. وكما نرى فإن هذا التعريف يرتكز على معيار التماسك ارتكازا محوريا حين يجعل أجزاء النص ـ صغيرة كانت أو كبيرة ـ مجرد لبنَات في بناء محكم.

وحازت قضية "التماسك" على العناية الكبرى من قبل المعتنين بالتحليل النصي. وذلك لكونها ألصق معايير النص بالجانب اللغوي البحت[٢] فضلا عن كونها من أوسع القضايا وأعقدها؛ إذ يسخّر محلل النص من أجل إظهاره كل ما يتيحه النص من قرائن تتعلق بالسياق اللغوي أو المقامي. ولا يمكن القول بأن التماسك النصي مسألة غابت عن اللغويين العرب قديما في دراساتهم التنظيرية إذ نجد بعض الإشارات عند بعض النقاد والبلاغيين تؤكد إداركهم للترابط بين مكونات النص[٣]. وكذا فقد تجلت العناية بها في الجانب التطبيقي عند كثير من المفسرين والمصنفين في علوم القرآن، وكان على رأس هؤلاء السيوطي؛ إذ أفرد بعض مصنفاته لمعالجة هذا الأمر فمن ذلك: (تناسق الدرر في تناسب السور ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ أسرار ترتيب القرآن)، كما عالجه في بعض المواضع من كتابه: (الإتقان في علوم القرآن). وكذا البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وكذلك فقد جعلها ابن عاشور من المسائل المحورية في تفسيره. ولا نعدم عند غيرهم إشارات كثيرة تتعلق بهذا الأمر، لا سيما عند الزمخشري في الكشاف، وفخر الدين الرازي في التفسير الكبير، والزركشي في البرهان في علوم القرآن[٤].

---

[١] ينظر: علم لغة النص، سعيد بحيري ١٠٨ و١٩٢

[٢] وتنقسم معايير النص السبعة إلى:معايير مرتبطة بالنص في ذاته (السبك ـ الحبك) ومعايير مرتبطة بالمؤلف والمتلقي (القصد والقبول)، ومعايير مرتبطة بالسياق الخارجي (الإعلام ـ المقامية– التناص) ينظر: نحو آجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"د. سعد مصلوح ص١٥٤

[٣] ومن ذلك قول حازم القرطاجني متحدثا عن الشعر: "فأما المتصل العبارة والغرض، فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علاقةٌ من جهة الغرض، وارتباطٌ من جهة العبارة بأن يكون بعض الألفاظ في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط." منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني، ص ٢٦٢

[٤] ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص:١٦٥ وما بعدها.

وعلى الرغم من اتفاقهم على أن التماسك أمر واقع في النص القرآني فقد تفاوتت نظرتهم حول درجته وطبيعته؛ فمنهم من ذهب إلى القول بـ"مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ومنتظمة المباني[١]." ومنهم من رأى أن ثمة مواضع يحسن القول فيها بوقوعه وأخرى على خلاف ذلك، مثل العز بن عبد السلام الذي قال: "المناسبة علم حسن، لكنه يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو يتكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض[٢]."

ولا ينبغي أن ينظر إلى هذين الموقفين على أنهما متناقضان؛ لكن ما نحسبه صوابا هو أن كلا منهما نظر إلى القضية من زاوية. فأصحاب الرأي الأول نظروا للنص من جهة "القصد" أي الهدف من الكتاب الكريم، و"القصد" معيار من معايير النص الكبرى التي تطوق بقية المعايير ومنها "التماسك". فالقرآن من أوله إلى آخره واحد في غايته، قال تعالى: **(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)** البقرة: ٢ فكل ما فيه من سور وآيات، بل من جمل وكلمات تدور حول هذا المقصد (الهداية). وأما الرأي الآخر فنظر إلى النص القرآني من جهة بنائه الموضوعي، فقد اختلفت موضوعات القرآن الكريم باختلاف الوقائع والأحداث التي نزل من أجلها، ولا ينفي ذلك أن يكون ثمة رابط يطوق هذه الموضوعات ويشد بعضها إلى بعض لتكون في النهاية كيانا متماسكا.

وكان من تيسير الله لعباده أن أوحى إلى نبيه ﷺ بتقسيمه "فكان عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس[٣]." وكان الناس في زمن النبي ﷺ يجزئون القرآن بالسور لا غير، فقد سئل أصحاب رسول الله ﷺ: "كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده[٤]." يقصدون بالثلاث السور

[١] معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ٥٥/١
[٢] البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٣٧/١
[٣] المصدر نفسه ٢٥١/١
[٤] المصدر نفسه ٢٤٧/١

الطوال الأولى فهي حزب، ثم الخمس التي تليها، وهكذا حتى حزب المفصل وهو من (ق إلى الناس)[١].

لكن ما يمثّل إشكالا هو كيف تُقسَّم السور ذات الموضوعات المتعددة إلى وحدات من غير أن يخل ذلك بمبدأ التماسك؟ إذ من مقتضيات التدبر الذي أمره الله به ألا يقطع القارئ تلاوته عند موضع ما بعده متعلق به من جهة اللفظ أو المعنى، وكذا عليه ألا يبدأ التلاوة من موضع هو تتمة لما قبله. وكانت ثمة محاولات لمراعاة هذا الأمر، منها:

١ـ التفرقة بين الوقف والقطع

قال ابن الجزري: "الوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله ... لا بنية الإعراض[٢]." وهذا يعني أن مواضع الوقف لا تنبئ بالضرورة عن إتمام الموضوع، ومن ثم فإنها لا تعني في كل حال أن القارئ بإمكانه الركوع إن كان في الصلاة، أو إنهاء التلاوة إن كان في غيرها. غير أن ذلك جائز في مواضع القطع. "والقطع عندهم عبارة عن قطع القراءة رأسا، فهو كالانتهاء. فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة، كالذي يقطع على حزب أو ورد أو عشر أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك مما يؤذن بانقطاع القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة[٣]." غير أنه لم يقم أحد من العلماء ـ في حدود علمي ـ بتجزئة الآيات داخل السور بناء على تعيين مواضع للقطع.

٢ـ التجزئة بعلامة الركوع (ع)

وهي تجزئة تتعلق بالركوع؛ إذ يوضع الحرف (ع) عند رقم الآية التي يحسن الركوع عندها، وهذا التقسيم لا ينظر إلى طول المقطع أو قِصَره، بل إلى تمام المعنى. وقد اعتمد مصحف (تاج كمبني)، وهو المصحف الذي يقرأ به في (الهند ـ باكستان ـ بنجلاديش) على هذه الطريقة في التجزئة[٤]، وأخذت بعض المصاحف المطبوعة مؤخرا في بلادنا العربية[٥] بهذه العلامة فوضعتها إلى جوار التقسيم المعتاد (الأرباع ـ الأحزاب ـ الأجزاء). ولم يصل إلى علمي شيء

---

[١] شرح الزركشي ذلك في الموضع السابق نفسه.

[٢] النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ١/٢٤٠

[٣] المصدر نفسه ١/٢٣٩

[٤] ينظر: المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار ٢٥٠

[٥] طبعت دار الصفوة في القاهرة في عام ٢٠٠٣م مصحفا وضعت علامة الركوع (ع) على الهوامش الجانبية للصفحات، وكذا فعل القائمون بمراجعة مصحف دولة الكويت المطبوع بدار مصحف أفريقيا

عن منشأ هذه العلامة أو منشِئها، غير أنها استعملت في كتاب (نثر المرجان في رسم نظم القرآن) لمحمد عوث الآركاتي المتوفى (١٢٣٨ه)[١]، كما جاء ذكرها في كتاب (كنوز ألطاف البرهان في رموز أوقاف القرآن) لمحمد الصادق الهندي وهو مطبوع سنة (١٢٩٠ه)[٢].

٣ـ مصاحف الموضوعات الملونة

ظهرت في عصرنا مصاحف تعتمد على استخدام الألوان المختلفة لتحديد الموضوعات داخل السور، فهي تجعل لكل موضوع لونا خاصا، فعلى سبيل المثال تجعل بعضها اللون الأزرق لآيات الله تعالى ودلائل قدرته، واللون الأخضر للجنة وأوصافها، والأحمر للنار وأوصافها، والأصفر لقصص الأنبياء والأمم السابقة، إلى غير ذلك[٣]. وتهدف هذه المصاحف إلى ربط التلاوة بالمعنى؛ فلا يبدأ القارئ تلاوته إلا مع بداية موضوع، ولا يختمها إلا مع نهاية موضوع ما تيسر له ذلك، وهذا من ضرورات التدبر والتفكر في كلام الله سبحانه وتعالى.

ويلاحظ أن تلك المحاولات لم تقم على معايير علمية واضحة، كما أنه لا يمكن القول بأنها نجحت في توجيه جمهور المسلمين إلى تجزئه النص القرآني تجزئة قائمة على مراعاة التماسك النصي، فالواقع هو أن جُل أئمة المساجد، والقراء في أورادهم يعتمدون على علامات الأثمان الأرباع والأحزاب والأجزاء، فيقطعون القراءة حيث انتهت، وهذا لا يحسن؛ إذ إن أكثر هذه العلامات صلتها بالمعنى منفكة[٤]، ومن ثم فهي لا تصلح لهذه الوظيفة.

إن تجزئة النص القرآني داخل السورة الواحدة أمر تقتضيه الضرورة، وهو لا يتناقض بحال مع معيار التماسك النصي؛ إذ إنها بمثابة فصل لجزئيات الكيان الواحد لكون كل جزء منها يحمل فائدة في ذاته، فهي "تجزئة خيالية تدركها العين والفكر وحدهما، ولكنها تجلي معرفتنا بالنص دون أن تحدث في كيانه

---

[١] وهو مطبوع بخط اليد بمطبعة شمس الإسلام ببلدة حيدر اباد الركن سنة ١٣٢٩هـ

[٢] وهو مطبوع بخط اليد بالمطبعة الكاستلية ـ القاهرة ، سنة ١٢٩٠ هـ.

[٣] ينظر: مصحف التفصيل الموضوعي، ومصحف التفسير الموضوعي للحافظ المتقن

[٤] توجد عشرات الأمثلة التي تؤكد هذا، والتي سوف يحاول هذا البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ إلقاء الضوء عليها، لكن من أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **(يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)** آل عمران ١٧١ وهي رأس الحزب الثامن ، وكذا قوله سبحانه: **(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)** النساء ٢٤ وهي رأس الجزء الخامس، وقوله تعالى: **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي)** يوسف: ٥٣، وهي رأس الجزء الثالث عشر، وقوله تعالى: **(أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)** العاديات ٩ وهو آخر أرباع المصحف.

خدشا واحدا[١]." المهم هو أن يكون هذا الفصل قائما على أساس صحيح، وهذا يعني أن تكون الأجزاء المفصولة ذات وحدة وكيان، فيبلغ كل جزء بذلك الغاية من انفصاله.

تجزئة القرآن وفقا لعلامات التحزيب في المصحف

الثابت أن تجزئة القرآن الكريم ظهرت منذ عصر النبوة؛ إذ جاء من الأخبار ما يشير إلى أن هذا كان من فعله ﷺ. فمن ذلك ما جاء من ردّه ﷺ على الوافدين من بني مالك حين تأخر في الخروج إليهم ذات ليلة، قال ﷺ: "طرأ عليَ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه[٢]." وبيّن الصحابة (رضوان الله عليهم) ذلك حين سألهم بنو مالك، قالوا: "فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ أنه قد حدثنا أنه طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين قاف وأسفل[٣]."

وأكثر ما يلفت في هذه الطريقة أنهم حزبوه بالسور، فلم تكن أية إشارة إلى أنهم فعلوا كما يفعل اليوم، حيث تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب والأرباع في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك[٤]. لقد بدأت هذه الطريقة الأخرى في زمن التابعين؛ حيث صار التقسيم معتمدا على إحصاء الكلمات والحروف؛ فقد روي "أن الحجاج بن يوسف بعث إلى قراء البصرة فجمعهم، واختار منهم الحسن البصري وأبا العالية ونصر بن عاصم، وعاصما الجَحدريّ، ومالك بن دينار (رحمه الله عليهم)، وقال: عدّوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير[٥]."

وكان لهذا التقسيم القائم على العدّ فوائد كثيرة منها **أن يحدد القارئ وِرْدَه اليومي من القرآن**، فقد روي أن الحجاج استعمل هذا العد، فكان يقرأ في كل ليلة ربع القرآن[٦]. **ومن ذلك أنهم اعتمدوه وسيلة للحفظ**، قال السخاوي: "وقد قسّم القرآن العزيز على ثلاثمائة وستين جزءا لمن يريد حفظ القرآن، فإذا حفظ

---

[١] النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف ١٦١

[٢] سنن أبي داود ـ الصلاة، وسنن ابن ماجة ـ إقامة الصلاة ١/ ٤٢٧

[٣] البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني ٣٠٠

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية٢٢١/١٣

[٥] البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢٤٩/١

[٦] المصدر نفسه ٢٥٠/١

كل يوم جزءا حفظ القرآن في سنة[١]." ومنهم من أراد **تقسيمه إلى مقادير متشابهة في صلاة التراويح**، قال الأندرابي: "والفائدة للقارئ في معرفة أجزاء القرآن أنه إذا عرف ذلك قدّر أوراده في التراويح وغيرها تقديرا واحدا، فإذا أحب أن يختم القرآن في عشر قرأ كل يوم وليلة عُشْرا منه، فإذا أحب أن يختمه في عشرين قرأ كل يوم وليلة جزءا من أجزاء العشرين، وكذلك يفعل إذا أحب أن يختمه في ثلاثين أو أقل منها أو أكثر، إن شاء الله[٢]."ومن ثم فقد اختلفت التقسيمات باختلاف الأغراض[٣].

وهذه الأغراض تحتاج إلى تقسيم قائم على المقادير المتشابهة حجما، فالذي يحفظ أو يتلو أو يصلّي في حاجة إلى ذلك. لذا فقد ارتضت الأمة التجزئة المعتمدة على العدّ منذ أن وضعها التابعون (رضوان الله عليهم) وإلى يوم الناس هذا. فكان المصحف ثلاثين جزءا، والجزءُ حزبين، والحزبُ أربعة أرباع، والربع ثمنين في بعض المصاحف.

وبين الدكتور غانم قدوري الحمد أن أول مصحف وصل إلينا وقد ظهرت فيه علامات التجزئة المعروفة اليوم هو مصحف ابن البواب الذي كتبه (٣٩١ه). ووازن (حفظه الله) بين هذا المصحف ومصحفي القاهرة والمدينة، ووصل إلى نتيجة هي أن الاختلاف بين هذه المصاحف في تعيين مواضع الأجزاء محدود، أما الأحزاب وأرباعها فاختلافها أكثر لكثرة ورودها[٤].

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة في التجزئة كانت ذات نفع كبير أفاد منه القارئون والمصلون، وطلاب الحفظ فإنها لم تسلم من المآخذ الواضحة، منها:

أولا: أن الأساس النظري الذي قامت عليه هذه التجزئة وهو تقسيم القرآن الكريم إلى أقسام متساوية طبقا لعد الحروف والكلمات أمر غير مطرد في كثير من مواضعه؛ فالناظر في هذا التقسيم يجد أن الأجزاء قسمت إلى أقسام يغلب عليها التساوي في الكم، على حين أن الأحزاب والأرباع يظهر التفاوت في مقاديرها واضحا، وقد حاول علم الدين السخاوي تفسير هذا الأمر فقال: "قال أبو الحسين بن المنادي (رحمه الله): وكان الأصل ورْدَ الثلاثين لأنه مقسوم على الحروف، ثم فرع الناس ورد الستين على الكلمات، وكذلك ما فرعوه ورد الستين. والورد إذا قسم على الكلام تباينت قسمته، لأن الكلمات متباينة، ألا ترى أن منها ما هو عشرة أحرف، وذلك **(أنلزمكموها)** هود: ٢٨، ومنها ما هو حرفان نحو: **(إن)** و**(عن)**[٥]." والحقيقة أن تقسيم الأحزاب والأرباع لم يقم على مراعاة عد

---

[١]جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي ١٦٣/١

[٢]الإيضاح ، للأندرابي ص٢٧٢

[٣]بين أبو عمرو الداني (رحمه الله) بعضا من هذه التقسيمات، ينظر: البيان في عد آي القرآن ٣٠٢وما بعدها.

[٤]ينظر: أبحاث في علوم القرآن، د/ غانم قدوري الحمد ١٥٣

[٥]جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي ١٦٢/١

الأحرف ولا الكلمات، وأن التفاوت في العد كائن لدرجة وصلت إلى أن نرى ربعا ضعف ربع آخر[١].

ثانيا: أن هذه التجزئة المحدثة لا توافق ما كانت عليه العادة الغالبة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، فقد كانوا يقرؤون في الصلاة بسورة كاملة، أما القراءة بأواخر السور وأوسطها فلم يكن غالبا عليهم، لذا أفتى بعضهم بأنه "يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانا؛ لئلا يخرج عما مضت به السنة، وعادة السلف من الصحابة والتابعين[٢]

ثالثا: لم تراع التجزئة في مصاحفنا اليوم التماسك القائم بين الآيات، فنراها تتضمن "الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئا بمعطوف، كقوله تعالى: **(والمحصنات من النساء)** النساء: ٢٤، وقوله: **(ومن يقنت منكن لله ورسوله)** الأحزاب: ٣١ وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض، حتى كلام المخاطبين حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: **(قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا)** الكهف: ٧٥ [٣]."

وموضوع هذا البحث يُعنى بهذا الجانب الأخير؛ إذ يبيّن أن الالتزام بقطع القراءة عند بعض علامات التجزئة في المصحف الشريف أمر فيه إخلال بتماسك الآيات، وهو أمر يتعارض مع ما أمرنا الله به من التدبر الذي من مقتضياته ألا تنقطع تلاوة القارئ عند موضع ما بعده متعلق به، وكذا عليه ألا يبدأ التلاوة من موضع هو تتمة لما قبله.

وينبغي هنا أن نبين أن هذا البحث ركز على أحد معياري التماسك النصي ألا وهو "الاتساق"، ويقصد به: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته[٤]. أما الانسجام الذي يرصد "العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حين لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها[٥] فقد آثر الباحث أن يفرد له بحثا مستقلا.

---

[١] وازن الدكتور غانم قدوري الحمد بين حجم الربع الثالث من الحزب الثالث عشر في مصحف المدينة وحجم الربع الأول من الحزب السادس والخمسين، فوجد أن الأول شغل ٥١ سطرا في حين أن الآخر جاء في ٢٣ سطرا وثلث السطر . ينظر: أبحاث في علوم القرآن، د/ غانم قدوري الحمد ١٥٦

[٢] مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٣/ ٢٢٢

[٣] المصدر نفسه ٢٢٢/١٣

[٤] لسانيات النص، محمد خطابي، ٥

[٥] دينامية النص: تنظير وإنجاز، د. محمد مفتاح، ص١٥١

المبحث الأول

علامات التجزئة في ضوء الاتساق الصوتي للآيات

لم يقم نظام الفواصل في القرآن الكريم على توحد الفاصلة؛ فأغلب سوره ـ لا سيما الطوال منها ـ أخذت بنموذج التغيير فيها، ولم تتعدَ السور التي وحدت الفاصلة إحدى عشرة من جملة سوره[١]. والقرآن إذ يخالف ما اشتهر به نظام القصيدة العربية وقتئذ فإنما يخالفه لغايات منها ما هو جمالي، فكما أن للتساوي جمالية التوحد وإشباع التوقع، فإن للتغيير جمالية الدهشة والتلوين[٢]. ومنها ما يخدم الدلالة؛ إذ لا يطرأ هذا التغيير إلا باستدعاء السياق، فهو لغاية دلالية تحتاج إلى الوقوف عندها لاستبيان المقصود منها[٣].

وفضلا عن ذلك فإن هذا التغيير كانت له صلة واضحة بتجزئة الأفكار داخل السورة الواحدة؛ إذ كثيرا ما يقترن التنوع في الفاصلة بالانتقال من فكرة لأخرى، ونحو ذلك ما جاء في سورة (النبأ)؛ إذ بدأت السورة بقافية النون والميم **(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)** فلما انتهى من هذا التقرير وبدأ نسقا معنويا جديدا ـ نسق الجدل بدل التقرير ـ تغير النظام هكذا **(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)**. وفي (آل عمران) سارت السورة على الفاصلة الغالبة حتى قرب النهاية، فلما بدأ دعاء من طائفة من المؤمنين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم تغيرت هكذا: **(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ...)** إلخ[٤].

أولا: موافقة علامات التجزئة للاتساق الصوتي للآيات

ويلاحظ أن هذا التغير الصوتي المتمثل في تحول الفاصلة والذي يلازمه تغير في النسق الدلالي قد وافق علامة التجزئة في بعض المواضع، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ**

---

[١] عدها الدكتور محمد الحسناوي، وهي: القمر، والكوثر، والقدر، والعصر، والمنافقون، والأعلى، والليل، والشمس، والفيل، والإخلاص، والناس. ينظر: الفاصلة القرآنية، محمد الحسناوي ص٢٠٩

[٢] المرجع نفسه ٢٠٩

[٣] لم يغفل القدماء عن الوظيفة الدلالية للفاصلة، فقد عرفها القاضي أبو بكر بأنها "حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني" البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٥٣/١

[٤] الفاصلة القرآنية، محمد الحسناوي ٢٢٦-٢٢٧

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) البقرة ١٠٤ـ ١٠٥ فالآيتان جاءتا بصيغة الخطاب الموجه من الله تعالى للمؤمنين بغرض تأديبهم مع التعريض باليهود في الآية الأولى، ثم بيان حسد اليهود وغيرهم للمسلمين في الثانية[١]. وقد توحدت نهاية الفاصلة في الآيتين (الميم المسبوقة بياء) وصاحب ذلك تشاكلهما في الموضوع، وصيغة القول. ثم جاءت علامة التجزئة قبل قوله تعالى: **(۞مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)** البقرة: ١٠٦ـ ١٠٧ وكانت بداية الربع هنا موافقة لبداية نمط جديد من الفواصل (الراء المسبوقة بياء)، وصاحب هذا التغيرَ الصوتي تغيرٌ في الصيغة؛ إذ تحول الكلام من خطاب جماعة المؤمنين إلى صيغة المتكلم الدالة على الله سبحانه، ثم الخطاب للنبي ﷺ. كذلك تغير الغرض من التوجيه (قبل علامة التجزئة) إلى التقرير(بعدها). وهذا مما يسوّغ الفصل بين الموضعين[٢].

ونحو ذلك ما جاء في أول سورة (هود)، فقد انتهت الفاصلة بالراء المسبوقة بالياء أو الواو، وصارت الآيات على هذا النمط من بدايتها حتى قوله: **(أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** هود: ٥، ثم جاءت علامة التجزئة لتكون الآيات بعدها على نمط صوتي جديد، قال تعالى: **(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** هود: ٦ وثمة ارتباط دلالي واضح بين الآيتين؛ إذ إن علمه بذات الصدور من جملة علمه بمستقر كل دابة ومستودعها. لكن التغير واقع من انتقال الدلالة من الخاص إلى العام[٣].

وقد تتغير الفاصلة لانتقال الخطاب من الحديث عن قوم إلى الحديث عن آخرين، ونرى ذلك في قوله تعالى: **(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ٦٥٢/١

[٢] وهنا يجب التنويه على أن علامة التجزئة فصلت بين كلامين دائرين حول موضوع واحد (اليهود) لكن ما جعل هذا الفصل مقبولا هو أن الحديث عنهم ممتد بعد ذلك امتدادا طويلا. ينظر: المصدر نفسه ١/ ٦٥٤

[٣] (ما) في الآية الكريمة تفيد العموم وقد أغرق في العموم في قوله: (من دابة) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ٢٣٧/٩

وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ(٦١) قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ) هود: ٥٩- ٦١ فمن الواضح هنا أن الانتقال من الكلام عن عاد إلى ثمود صاحبه اختلاف الفاصلة من الدال إلى الباء. وهنا ينبغي أن نشير إلى أن مجيء علامة التجزئة في هذا الموضع[١] فيه مراعاة للجانب الموضوعي، ومن ثم فإن قطع القارئ لقراءته عندها مقبول لكونه لا يخل بمقتضيات الفهم الأولية.

وقد تكون الفكرة العامة للآيات واحدة لكنها تتفرع، فتختلف الفاصلة باختلاف الفروع، ومثل ذلك ما جاء في سورة (سبأ) فهي في مجملها حجاج يهدف إلى "إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراكهم آلهة مع الله وإنكار البعث[٢]." ومن ثم فهي تسوق لهم الحجج الداحضة لباطلهم والداعمة للحق، وبتنوع الحجج تتنوع الفواصل، ومن ذلك قوله تعالى:**(قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ)** سبأ: ٢٢- ٢٣ ويلاحظ أن هاتين الآيتين تنتهيان بـ(الراء)، ثم يعقبهما فاصلة أخرى (النون)، قال جل شأنه: **(۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۙ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٢٤) قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)** **سبأ:** ٢٤-٢٥ وصاحب تغيرَ الفاصلة من الراء إلى النون تغير في الحجة؛ إذ انتقلت "من دمغ المشركين بضعف آلهتهم وانتفاء جدواها عليهم في الدنيا والآخرة إلى إلزامهم بطلان عبادتها بأنها لا تستحق العبادة؛ لأن مستحق العبادة هو من يرزق عباده[٣]."

وربما كان اختلاف النسق الصوتي للموضعين السابقين مع اختلاف الفكرة مسوغا للفصل بينهما بعلامة التجزئة، لكن أمورا أخرى تدعو إلى عدم ترجيح الفصل، منها أن ثمة اتساقا تركيبيا ومعجميا واضحا يقوي الروابط بين الآيات، فصيغة الخطاب فيها واحدة، والمقصود منه واحد، بل إن تكرار (قل) في هذين الموضعين وما بعدهما يمثل رابطا قويا يشير إلى وحدة الموضوع. ولئن كانت السورة إلى نهايتها متحدة الغرض وهو حجاج المشركين؛ فإن هذا الحجاج جاء مقسما إلى مواقف، منها قوله بعد ذلك: **(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا**

---

[١] جاءت علامة الربع في قبل قوله: **(وإلى ثمود أخاهم صالحا)** هود: ٦١

[٢] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور ١٣٤/٢٢

[٣] المصدر نفسه ١٩١/٢٢

ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ) سبأ: ٣١ فهذه الآية تشير إلى موقف آخر من مواقف الحجاج في السورة. فإن كان من المتاح أن توافق التجزئة هذه المواقف فذاك هو الأولى.

ومن صور سبك الخطاب في القرآن الكريم أن تتشاكل الأجزاء وإن تباعدت مواقعها داخل السورة، ومن هذا التشاكل اتحاد فواصل الآيات التي تدور حول فكرة واحدة، وكان نحو ذلك في سورة التوبة؛ فـ"هذه السورة أكثرها في شرح أحوال المنافقين، ولا شك أنهم أقسام وأصناف[1]." يقول سبحانه: **(وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ)** التوبة: ٤٩ ثم يذكر صنفا آخر فيقول: **(وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ)** التوبة: ٥٨ ثم يقول: **(وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)** التوبة: ٦١ ثم يقول:**(وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)** التوبة: ٧٥

فهذه أصنافهم أظهرتها الآيات في أقسام يبدأ كل منها بقوله: (ومنهم). وكما هو واضح فإن هذه الآيات تنتهي بالنون أو الميم المردفتين بالياء أو الواو، وذلك على الرغم من تباعد مواقعها ووجود آيات بينها تخالفها في هذه الفاصلة[2]. ومن ثم فيمكننا القول بأن هذه المناسبة الدلالية بين هذه الآيات صاحبها تلك القرينة الصوتية التي أظهرت تماسكها.

أما علامة التجزئة بين هذه الآيات فكانت في موضعين، الأول: عند قوله تعالى: **(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا...)** التوبة: ٦٠ ولو أن تلك العلامة تقدمت فكانت قبل آية واحدة من هذا الموضع، أو تأخرت فكانت بعد آية واحدة لكان ذلك التقسيم قائما على أساس دلالي أضبط، إذ إن البدء بقوله: **(وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ)** أو بقوله: **(وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ)** يجعل الكلام عن كل صنف من أولئك المنافقين قائما بنفسه. في حين أن قوله: **(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ...)** يرتبط ارتباطا قويا بقوله قبلها: **(وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ**

---

[1] تفسير الفخر الرازي ١٤١/١٦

[2] ونحو ذلك قوله تعالى: **(وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ - وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ)** التوبة : ٧٣- ٧٤ وغيرهما.

فِي ٱلصَّدَقَٰتِ)؛ إذ "هو استطراد نشأ عن ذكر اللمز في الصدقات، أدمج فيه تبيين مصارف الصدقات[١]."

وأما الموضع الآخر فيبدأ بقوله تعالى: **(وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ...)** التوبة: ٧٥ وهي بداية مقبولة من وجهين: أولهما: أن التجزئة بذلك أخذت بمبدأ تصنيف المنافقين كما سبق، والآخر: أنها راعت الاتساق الصوتي؛ إذ الآيات قبل ذلك فاصلتها تنتهي بالراء (المصير، ونصير)، ثم تتحول إلى النون (الصالحين، معرضون، يكذبون).

ثانيا: مخالفة علامات التجزئة للاتساق الصوتي للآيات

١ـ الفواصل المتوازية:

ذكر الزركشي أنواع الفواصل فقال: "قسم البديعيون السجع والفواصل أيضا إلى متوازٍ، ومطرّف، ومتوازن. وأشرفها المتوازي، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع، كقوله تعالى: **(فيها سُرُرٌ مرفوعة (١٣) وأكواب موضوعة)** الغاشية ١٣ــ١٤[٢]." وتميّزُ هذا النمط من الفواصل عن غيره يأتي من وضوح أثره الإيقاعي الذي لا تخطئه الأذن. والإيقاع في القرآن الكريم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لغايات منها ما أشار إليه بعض البلاغيين القدماء من أنه قد يكون وسيلة للتلاؤم بين أجزاء النص. قال حازم القرطاجني: "والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء...ومنها أن تتناسب بعض صفاتها، مثل أن تكون إحداهما مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات، أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها[٣]." وهذا يعني أن تحقق هذا النمط يعني الرغبة في الاستمرارية في ظاهر النص[٤]. وكذلك فإن من غايات هذا النمط الإيقاعي ما ذكره الزركشي حين قال: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما[٥]."

---

[١] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٣٤/١٠

[٢] البرهان في علوم القرآن ، للزركشي٧٥/١

[٣] منهاج البلغاء، للقرطاجني ١٩٨

[٤] قال الدكتور سعد مصلوح: "نعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها على تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية. ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته." نحو آجرومية للنص الشعري، ١٥٤

[٥] البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٦٠/١

ومن ثم فإن قطع القراءة عند فاصلة ما بعدها يوازيها من شأنه أن يهدر تلك الآثار المشروط تحققها بالاستمرار في القراءة. ويلاحظ أن علامة التجزئة لا تراعي هذا الأمر في كثير من المواضع، فمن ذلك قوله تعالى: **(وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (٤٩) ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا (٥٠) أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ)** الإسراء: ٤٩-٥٠

فقوله: **(أو حَدِيدًا)** لا ينبغي الوقف عندها والابتداء بما بعدها وفقا لقواعد الوقف والابتداء التي لا تجيز الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف[١]. قال الأشموني: **"(أو حَدِيدًا)** ليس بوقف؛ لأن **(أَوْ خَلْقًا)** منصوب بالعطف على ما قبله[٢]." وكذا ذهب كثير ممن صنف في الوقف والابتداء[٣]. وعلى الرغم من ذلك فقد عدت رأس آية في كل المصاحف[٤] مما يسوغ جعلها مقطعا يوقف عليه خلافا لما تستوجبه القاعدة، قال علم الدين السخاوي: "فإن هذه الفواصل إنما أنزل القرآن بها ليوقف عليها، وتقابل أختها، وإلا فما المراد بها![٥]"

فعدُّها رأس آية ـ يحسن الوقف عليها ـ مع كونها متعلقة بما بعدها أمر يفسره علاقتها الصوتية بما قبلها؛ فالوقف هنا له قيمة صوتية ذات أثر مطلوب، قال الخطيب القزويني: "اعلم أن الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوف عليها، لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف[٦]." ومن ثم فالأداء المطلوب حتى يترك هذا النمط الصوتي أثره في مستمعيه هو أن يوقف على **(جديدا)** ثم تستأنف القراءة ويوقف بعد ذلك على **(أو حديدا)**. ولا شك في أن هذا لا يناسبه أن يقطع القارئ تلاوته عند قوله: **(خَلْقًا جَدِيدا)** كما هو متبع عند من يجعل علامات التجزئة علامات تسمح له بالتوقف عن القراءة[٧].

وقد لا تتوالى كلمات الفواصل المتوازية، بل يفصل بينها بفاصل، وذلك من شأنه أن يقلل من مقدار الإيقاع الناتج وأثره مقارنة بالمتوالي منها، ومع ذلك فإنها تبقى من وسائل الربط بين أجزاء النص إذا عُضّد هذا بعوامل أخرى،

---

[١] ينظر: إيضاح الوقف والابتداء، للأنباري ١١٦

[٢] منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأشموني ٢٢٤

[٣] ينظر: القطع والائتناف، للنحاس ص ٣٧٧- ٣٧٨، وعلل الوقوف، للسجاوندي ٦٤٨

[٤] ينظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني١٧٧

[٥] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي٥٥٣

[٦] الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ٢٩٧

[٧] وليس معنى ذلك أن هذه العلامات لم تراع هذا النمط فتعمدت قطعه في كل موضع، فثمة مواضع أخرى جاءت علامة التجزئة قبل البدء في نمط الفواصل الموازية، وذلك نحو مجئها قبل قوله تعالى: **(۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا** (١٩) **إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعا**(٢٠) **وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا)** المعارج: ١٩-٢١

ونجد ذلك في قول الله سبحانه: **(بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا)** فاطر:٤٠ ثم جاءت آية اتفقت فاصلتها مع هذه في الروي دون الوزن، وهي قوله تعالى: **(إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا)** فاطر: ٤١ (فغرورا وغفورا) لا يشتركان في الوزن الصرفي، ومن ثم فهما غير متوازيين. لكن الفاصلة التي أعقبتهما متوازية مع الأولى، وهي في قوله: **(فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِير مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا)** فاطر:٤٢ فالتوازي وقع هنا بين (غرورا ونفورا)، وإن كان الإيقاع قد خفت جرسه نتيجة للفصل بين الآيتين بآية فإن ثمة مشتركات بينهما غير الوزن الصرفي تسمح بالقول بالارتباط القوي بين المقطعين، فـ(غرورا ونفورا) مشتركان في الوظيفة الصرفية؛ إذ كلاهما مصدر، كما أنهما جاءا في حق المشركين، وفضلا عن ذلك فالأسلوب في المقطعين تقريري جاء على الصورة التركيبية نفسها إذ يجتمع فيهما النفي مع الاستثناء. ولا شك في أن ذلك التشابه من الوسائل التي أسهمت في الربط بين الآيتين بحيث لا يكون القطع عند إحداهما دون الأخرى مستحسنا، لذا يمكننا القول بأن التوقف عن التلاوة بعد علامة التجزئة ـ وهي واقعة بعد الآية الأربعين ـ يفكك في ذهن المتلقي ذلك الاتساق المتحقق بهذه الوسائل وغيرها.

وقد تعتمد الفواصل في تواليها على التوازن الناشئ من الوزن الإيقاعي الذي يكون ميزانه توالي الكلمات ذات المقاطع الصوتية الواحدة، ونحو ذلك ما كان في الآيات التي تضمنت الحوار بين موسى والعبد الصالح؛ إذ جاءت كلمات الفواصل في تلك الآيات متساوية في مقاطعها الصوتية، وهي: **(رُشْدا- صَبْرا- خُبْرا- أمْرا- ذِكْرا- إمْرا- صَبْرا- عُسْرا- نُكْرا - صَبْرا- عُذْرا- أجْرا- صَبْرا- غَصْبا- كُفْرا- رحُمْا- صَبْرا)**[1] فاختلاف الأوزان الصرفية نظرا لاختلاف حركة الأول منها حمل قيمة التغيير الدافع للرتابة، وكان مصدر الإيقاع الرئيس هو اتفاق أواخر الفاصلة وتساوي المقاطع الصوتية[2]، فكل الكلمات السابقة ـ باعتبار حالها في الوقف ـ مكونة من مقطعين هما (ص ح ص) + (ص ح ح). وصاحب الاتساق الصوتي هنا وحدة الموضوع الذي جاء على صورة حوار بين موسى والعبد الصالح (عليهما السلام)، ومع هذا فقد جاءت علامة التجزئة لتقطع ذلك الحوار الذي كانت وحدة الإيقاع من مقومات سبكه[3].

---

[1] سورة الكهف من الآية ٦٦ إلى ٨٢

[2] ختمت كل الفواصل بالراء ماعدا أولها (رشدا)

[3] جاءت علامة التجزئة بين قوله تعالى: (لقد جئت شيئا نكرا) الكهف: ٧٤ وقوله: (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) الكهف: ٧٥

٢- تكرار كلمة الفاصلة

ومن صور الاتساق الصوتي أن تتكرر كلمة الفاصلة نفسها في آيتين متتاليتين، وقد عدّ بعض العلماء وقوع ذلك في القرآن من الإيطاء[١]. والإيطاء: "هو أن يقفى بكلمة ثم يقفى بها في بيت آخر[٢]." وهو قبيح في الشعر، وأقبحه "ما تقارب مثل أن يكون البيتان متجاورين أو بينهما بيت أو اثنين أو ثلاثة على قدر ذلك[٣]." فإن طالت القصيدة وتباعد ما بين الإيطاءين كان أحسن[٤]. وإنما كان عندهم عيبا "لدلالته على ضعف طبع الشاعر وقلة مادته، حيث قصر فكره وأحجم طبعه عن أن يأتي بقافية أخرى، فاستروح إلى الأولى مع ما جلبت عليه النفس من معاداة المعادات[٥]."

ولا يقبل أن يقاس القرآن الكريم على الشعر فنقول إن تكرار كلمة الفاصلة تساوي الإيطاء؛ إذ كل منهما نمط يختلف في بنائه وخصائص نظمه عن الآخر، فليس البيت الشعري كالآية القرآنية، وليست القافية كالفاصلة القرآنية. ومن ينظر لما مثل به الزركشي لوقوع الإيطاء في القرآن يدرك الفرق بينهما، قال: "كقوله تعالى في سورة البقرة: **(كأنهم لا يعلمون)** البقرة: ١٠١ ثم قال في آخرين: **(لو كانوا يعملون)** البقرة: ١٠٢[٦]." فالفاصل بين (يعلمون) الأولى و (يعلمون) الأخرى يزيد في المصحف عن ثمانية أسطر، كما أن السياق الذي استخدمت فيه الأولى منفصل عن سياق الأخرى؛ ففي الأولى كان الكلام عن فريق من الذين أوتوا الكتاب، وأما الأخرى: فهي تشير إلى فريق من الإنس تعلموا السحر وشروا به أنفسهم[٧].

إن تكرار كلمة الفاصلة لا يحمل قيمة جمالية فحسب، بل كان له في بعض مواضعه غايات ذات علاقة بربط أجزاء النص وتحقيق تماسكه، فمن ذلك أن يكون المقصود من التكرار "دلالة اللفظ على المعنى مرددا[٨]." وهذا الترديد للمعنى الذي يحمله العنصر المعجمي ذاته في موضع الفاصلة يعد عاملا من العوامل التي تجسد الاستمرارية في النص؛ إذ يكون هذا العنصر معبرا عن

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٥٩/١

[٢] الموشح، للمرزباني ١٩

[٣] القوافي، للقاضي أبي يعلي١٨٧

[٤] ينظر: القوافي، للأخفش ص ٦٣

[٥] نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، للأسنوي، تحقيق/ د. شعبان صلاح، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م. ص٣٦٤

[٦] البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٥٩/١

[٧] ينظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ٦٤٨/١

[٨] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ٣٥٥

الفكرة السائدة، ونحو ذلك ما جاء في سورة غافر، فقد ختم ثلاث آيات متتاليات بقوله: **(رب العالمين)**. وسياق هذه الآيات يؤكد أنه سبحانه المستحق وحده للعبادة بمقتضى ربوبيته، قال تعالى: **(ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)** غافر:٦٤ ففي صدر هذه الآية تمكين لمقطعها[١]؛ إذ إن تفرده بالقدرة على الخلق من موجبات تفرده بالربوبية. ثم يقول بعدها: **(هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)** غافر: ٦٥ فإقرار تفرده بالألوهية يمكّن لربوبيته، ثم تأتي الآية الثالثة لتبين ما تقتضيه تلك الربوبية من عبادته وحده دون ما سواه، قال تعالى: **(قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)** غافر: ٦٦

فتكرار وصفه لذاته بـ(رب العالمين) في فواصل هذه الآيات من عوامل التماسك النصي؛ إذ إنه مثل الغاية من الخطاب. فضلا عن هذا فإن ما يحدثه الوقوف بترديد العنصر المعجمي نفسه من اتساق صوتي يدعم حتما ذلك الاتساق الدلالي. ومن ثم فإن وضع علامة التجزئة بعد قوله: **(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)** غافر: ٦٥ من شأنه أن يقطع هذا الاتساق.

ومن ذلك أن يكون التكرار للمقارنة، فالكلمة قد تتكرر فتكون من عوامل سبك النص لا لكون اللفظين المكررين يدلان على الشيء نفسه، بل لأن أحدهما يدل على معنى يقابل الآخر[٢]، ومثل ذلك نجده فيما أفاده تكرار كلمة الفاصلة في قوله تعالى: **(وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا (٧٣) ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا)**النساء: ٧٣ـ ٧٤ إن كلمة (عظيما) في الآيتين وقعت نعتا للفوز في الآية الأولى، وللأجر في الأخرى، والعلاقة هنا بين الفوز العظيم والأجر العظيم هي علاقة تقابل بين جزاءين، فالفوز العظيم هو محض أمنية تدل على ندم أولئك الذين تباطئوا في الجهاد، فبعد النصر يقول الواحد منهم:

---

[١] عرف السيوطي التمكين بأن: "يمهد الناثر للقرينة، أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى، واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمّلها السامع بطبعه." ينظر: معترك الأقران ٣٩/١

[٢] وذلك ما يسمى بـ(الإحالة المقارنة) Comparative reference

(يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمَا) يقصد بذلك الفوز بالغنيمة والأجر[١]. وأما الأجر العظيم فهو ما أعده الله لمن يُقتَل في سبيل الله أو يَغْلِب.

ولا شك في أن وصف الأمرين بـ(عظيما) دون ما سواها من الصفات لم يأت من غير قصد؛ إذ إن تلك المماثلة من شأنها أن تلفت المتدبر إلى المقابلة بين الحالين، فما أعده الله من أجر لمن قاتل يقابله مقدار مماثل من أجر ندم عليه أولئك المبطئون في القتال لكنهم لم يحرزوه لتخاذلهم. فتكرار كلمة الفاصلة إذن أسهم في تحقيق الترابط بين الآيتين فضلا عما أحدثته من اتساق صوتي، ومن ثم فقطع القارئ قراءته على الآية الأولى دون الأخرى اتباعا لعلامة التجزئة من شأنه أن يهدر تلك القيمة.

وليس شرطا أن يكون التكرار في فاصلتين متتاليتين حتى يتحقق الاتساق، فقد يحدث على الرغم من تباعد طرفيه، ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ)** الرعد: ٣٤، ثم قال بعد ذلك: **(وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ)** الرعد: ٣٧ ويلاحظ أن جهة الخطاب مختلفة في الآيتين، فهو في الأولى خطاب للكافرين، وفي الأخرى للنبي ﷺ، وكذا اختلف غرض الخطاب؛ فهو في الأولى تقريري؛ إذ يقرر أن العذاب واقع للكافرين في الدنيا، وأن عذابا أشد ينتظرهم في الآخرة، وأما الأخرى فهو خطاب تحذيري، فالعقاب مشروط باتباع أهواء الكافرين. لكن ما حققه التوحد اللفظي في كلمة الفاصلة (واق)، هو التماثل في الوعيد، فقد نفى (سبحانه وتعالى) أن يكون لأولئك الكافرين من يقيهم من عذاب الله، وهو نفس ما حذر به النبي ﷺ، فاتباعه لهم ـ وحاشاه أن يفعل ـ يجعله عند الله متساويا معهم في الجزاء. ولا شك في أن هذه الصلة ينبغي ألا تقطع بانقطاع التلاوة عند علامة للتجزئة كما يفعل الكثيرون[٢].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير،لابن عاشور ١١٩/٥

[٢] وضعت علامة الربع بعد قوله تعالى: **(وما لهم من الله من واق)** الرعد: ٣٤

المبحث الثاني

علامات التجزئة في ضوء الاتساق النحوي للآيات

أولا: الاتساق بالإحالة:

والإحالة Refernce من أهم الوسائل التي تحقق الاتساق بين أجزاء النص وإن تباعدت، فالعنصر الإحالي كما تقرر في الدرس اللغوي يمثل "مكونا يعوّض مكونا آخر ذكر في موضع آخر سابق عادة[١]." وهذا يعني أن ثمة طرفين للإحالة هما: العنصر الإحالي والعنصر المحال إليه. وطبيعة العلاقة بينهما هي التي تحقق التماسك؛ إذ إن العناصر المحيلة وهي: (الضمائر ـ وأسماء الإشارة ـ وأدوات المقارنة)، لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل بل لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وذلك لأن الخصائص الدلالية بين هذه العناصر والعناصر المحال إليها متطابقة[٢]. فإن قلنا مثلا ما المقصود بضمير الغائب في قوله تعالى: **(ويطوف عليهم ولدان مخلدون)** الإنسان: ١٩، فإن ذلك يفسره ما يحيل إليه هذا الضمير وهم (الأبرار) في قوله: **(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)** الإنسان: ٥ هذا فيما يتعلق بالدلالة، أما الجانب االنحوي فالطرفان يتطابقان "في عدد من السمات التركيبية والمقولية، ومن ذلك مقولتا الجنس والعدد، فتجري الإحالة وفق الجدول الذي ضبطه نظام الإحالة في اللغة، ومن ذلك مقولة العاقل وغير العاقل، فالإحالة على جمع غير العاقل بضمير مفرد مؤنث[٣]. فعلاقات التطابق الدلالية والنحوية بين هذين الطرفين تمثل خيطا جامعا لأجزاء الخطاب يجسد الاستمرارية في بنية النص الظاهرة ويحقق تماسكه.

ضمائر الغيبة:

وتمثل الضمائر بأنواعها المعروفة أوسع عناصر الإحالة استخداما، فلا يكاد يخلو نص منها، لذا عدّها دي بوجراند "أشهر نوع من الكلمات الكنائية[٤]. "وضمائر الغيبة تحديدا هي أكثر أنواع الضمائر تأثيرا في اتساق النص؛ فهي تختلف عن ضمائر المخاطب والمتكلم في أنها "تحيل قبليا بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه[٥]."

---

[١] نسيج النص، الأزهر الزناد، ١٣٣

[٢] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ١٦

[٣] نسيج النص، الأزهر الزناد ١٣٣

[٤] النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ٣٢١

[٥] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي ١٧

١ـ غموض معنى الضمير

وتكون العلاقة بين ضمير الغيبة ومرجعه أوثق إذا كان المرجع واضحا لا لبس فيه وقلّت الكلمات التي تفصل بينهما، حينئذ فمن غير المناسب أن ينهي قارئ القرآن الكريم تلاوته فيفصل بينهما. وجاءت علامة التجزئة في مواضع كثيرة ففصلت بين الضمير ومرجعه مما دعا من عدّوها علامة للقطع إلى إنهاء القراءة عند العنصر المحال إليه، وذلك يخل بفهم الموضوع الذي تعالجه الآيات. أما البدء بالضمير فغالبا ما يؤدي إلى إلباس المعنى على المستمع.

ومن هذا أن يقع الضمير في آية (هي بداية الربع) ويكون مرجعه في الآية التي تسبقها، وجاء ذلك في المواضع الآتية:

قبل علامة التجزئة العنصر المحال إليه (المرجع)	بعد علامة التجزئة عنصر الإحالة (الضمير)	التوجيه
(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) الأنفال: ٦٠	(وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا) الأنفال: ٦١	الضمير في (جنحوا) عائد على (عدو الله وعدوكم).
(إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) التوبة:٤٥	(وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً) التوبة: ٤٦	الضمير في (أرادوا) عائد على (الذين لا يؤمنون بالآخرة وارتابت قلوبهم).
(وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَاهُمْ) الأعراف: ٤٦	(وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ) الأعراف: ٤٧	الضمير في (أبصارهم) عائد على (رجال الأعراف)
(قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) الأنعام ١٢٦	(لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ) الأنعام:١٢٧	الضمير في (لهم) عائد على (قوم يذكرون.
(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ)الكهف: ٥٠	(مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ)الكهف: ٥١	ضمير الغيبة في (أشهدتهم) عائد على (إبليس وذريته).
(أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ) مريم: ٥٨	فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) مريم: ٥٩	الضمير في (بعدهم) عائد على (ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم...)
(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ) المؤمنون: ٧٤	(وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ) المؤمنون: ٧٥	الضمير في (رحمناهم) عائد على (الذين لا يؤمنون بالآخرة)
(يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) القمر: ٨	(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) القمر: ٩	الضمير في (قبلهم) عائد على (الكافرون)

والمتأمل للشواهد السابقة يلاحظ أن الآيات التي بعد علامة التجزئة جاءت فيها عناصر الإحالة دون المحال إليه، ومن ثم صارت تراكيب لا يمكن إدراك دلالتها؛ حيث إن ضمائر الغيبة فيها "لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[١]. فهل من الممكن أن أطلب من المستمع للآية أن يعرف عمن يدور القول، وقد كني عنه بضمير تفسره آية قبلها لم يسمعها؟ فلا سبيل لمن يبدأ تلاوته بقوله تعالى: **(وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ)** التوبة: ٤٦ أن يعرف من هم المقصودون إلا إذا رجع لقوله قبلها: **(إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ)** التوبة:٤٥ وكيف لمن بدأ بقوله سبحانه: **(وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ)** الأعراف: ٤٧ أن يعرف أن الحديث عن رجال الأعراف إذا لم يعد لقوله: **(وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ)** الأعراف: ٤٦ وكذا الأمر في كل الشواهد السابقة فهي موصولة الأركان، والفصل بينها يقود إلى الإبهام الذي لا يكون معه الفهم السديد.

وقد يؤدى السياق إلى معرفة ما يشير إليه الضمير أحيانا، لكنه عندئذ يقود إلى دلالة مظنونة أو غير محددة تحديدا دقيقا، فعلى سبيل المثال نرى أن من يستمع إلى قوله تعالى: **(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا)** الأنفال: ٦١ سوف يدرك من خلال معرفته بالسياق القرآني أن المقصود هم المشركون الذين قاتلوا النبي ﷺ والمؤمنين، وهذه حقيقة لكنها غير كاملة، ولا سبيل لبيانها على وجهها الدقيق إلا بالعودة إلى الآيات السابقة؛ فأقرب مذكور يعود إليه الضمير هو قوله: **(عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ...)** الأنفال: ٦٠ وهو لفظ عام يفسره ما قبله وهو قوله تعالى: **(إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٥٥) ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ)** الأنفال:٥٦ فـ(الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا، "وهم بنو قريظة، عاهدهم رسول الله ﷺ ألا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح، وقالوا نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق[٢]." ومن ثم رجح بعض المفسرين أن يكون الضمير في (جنحوا للسلم) قصد به هذه الفئة تحديدا[٣]. والقول بأن الضمير عائد على أقرب مذكور وهو قوله: **(عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ...)** بعد ربطه بما سبق يقود إلى ترجيح القول بأن المقصودين هم "اليهود، وقريش،

---

[١] المرجع نفسه ص١٧

[٢] الكشاف، للزمخشري ٥٩٢/٢

[٣] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب ٢٨٦٩، والبحر المحيط، لأبي حيان ٥٠٩/٤،

وكفار العرب[١]." وهذا ما لا سبيل إلى إدراكه بصورته الواضحة إذا بدأ القارئ تلاوته من بداية الربع عند قوله **(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا)** الأنفال: ٦١

ويقل غموض الضمير في بعض التعبيرات التي تكررت في النص القرآني، فضمير الغيبة يشير في كل موضع ذكرت فيها إلى الشيء نفسه، ومثل ذلك قوله تعالى: **(أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)** يوسف: ١٠٩، غافر: ٨٢، محمد: ١٠ وجاءت في مواضع أخرى **(أولم يسيروا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)** الروم:٩، فاطر: ٤٤، غافر ٢٠ إن المقصود بالخطاب في كل هذه المواضع معلوم، فهم المشركون من قوم النبي ﷺ، ومن ثم فإن البدأ بهذا وقطع القراءة قبلها لوجود علامة الربع ـ كما هو في موضع: (غافر: ٢٠) ـ لا يؤدي إلى الغموض الذي يكون في المواضع الأخرى.

وكذلك فإن ثمة تعبيرات يكون عدم العلم بما يعود عليه ضمير الغيبة فيها مما لا يضر بالفهم، ومثل ذلك الآيات التي تبدأ بـ(يسألونك). فإن رأس الأمر وعموده هو ما تتضمنه الآيات من أسئلة وأجوبة، أما من هو السائل فأمر فرعي. وقد بدأ الربع بها في نحو قوله تعالى: **(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ)** البقرة: ١٨٩ وقوله: **(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ)** البقرة: ٢١٩ ولا غموض في أن يبدأ حينئذ بضمير الغيبة دون عائده، بل إن سورة الأنفال افتتحت بقوله: **(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ)** الأنفال:١ وهذا النمط من الإحالة ليس من قبيل الإحالة النصية، بل هو مما يستدل عليه من الأخبار التي تتعلق بالنص كالروايات التي جاءت عن أسباب نزول هذه الآيات.

وربما يتضح ما يشير إليه الضمير ـ بعد علامة التجزئة ـ من سياق الآية بعده، فعندئذ لا نقول بأن القطع يؤدي إلى غموض معنى الضمير، ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)**الأنعام:١٣ وكذلك قوله تعالى: **(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ)** الأنعام: ٥٩ وقوله: **(إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ)** فصلت:٤٧ فالضمائر في (له) و(عنده) و(إليه) تعود على (الله) سبحانه وتعالى، ولا حاجه للعودة لما سبق للوصول إلى هذه الحقيقة؛ إذ إن الأفعال المذكورة مما لا يمكن إسناده إلا لله تعالى.

ومن ذلك أيضا أن تنص الآية بعد الضمير على المقصود منه كقوله تعالى: **(لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ**

[١] أحكام القرآن، لابن العربي ٤٢٥/٢

يَسْجُدُونَ) آل عمران: ١١٣ فلا يمكن القول بأن بدأ القارئ بقوله: **(ليسوا سواء)** يؤدى إلى الغموض الذي ينتج عن الجهل بمرجع الضمير؛ إذ صرح الله تعالى به بعد ذلك بقوله: **(مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ)**. وقد لا تنص الآية على مرجع الضمير نصا لكنها تتضمن حدثا أو خبرا يصح إسناده إلى ذاك المرجع، ونحو ذلك في قوله تعالى: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** البقرة: ٧٥ فقوله: **(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** يشير إشارة واضحة إلى من يعود عليهم ضمير الغيبة في قوله: **(يُؤْمِنُواْ)** وهم بنو إسرائيل؛ وذلك لأنه من المعلوم أنهم من قاموا بتحريف كلام الله تعالى، وقد نص القرآن في غير موضع على ذلك[1]. لذلك يمكن القول بأن البدأ بضمير الغيبة دون المحال إليه قبله في هذين الموضعين لا يؤدي إلى الغموض الذي يكون فيما سواهما[2]، ولا يعني ذلك أن البدأ بهما والقطع على ما قبلهما سائغ لكن غاية الأمر هو التأكيد على أنه لا يجوز أن تكون علة كراهة الابتداء أو القطع ههنا هي غموض المعنى للجهل بالمحال إليه.

٢ـ امتداد الإحالة

وقد يقع المحال إليه قبل علامة التجزئة بآيتين أو أكثر، ثم تتعدد ضمائر الغيبة التي تحيل إليه فتمتد إلى ما بعد تلك العلامة، ومن المواضع التي جاء فيها هذا النمط ما يأتي:

العنصر المحال إليه	عناصر الإحالة قبل علامة التجزئة	عنصر الإحالة بعد علامة التجزئة
(ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) آل عمران: ١٦٩	(أحياء عند ربهم يرزقون)، (فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ) (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بهم) آل عمران: ١٦٩ـ١٧٠	(يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ) آل عمران: ١٧١
(ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) الأنعام: ١٠٨	(وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا) (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ) (وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ) الأنعام: ١٠٩ـ١١٠	(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) الأنعام:١١١

---

[1] ومن ذلك قوله تعالى: **(مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ)** النساء: ٤٦ وكذلك قوله تعالى: **(وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ)** المائدة ٤١

[2] ثمة مواضع أخرى كشف سياق الآية بعد ضمير الغيبة عن مرجعه، ونحو ذلك قوله تعالى: **(مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)** طه:٥٥ فقد جاء هذه الآية بعد علامة التجزئة، والبدء بـ(منها) لا غموض فيه لمن أراد البدء بها؛ إذ دل السياق بعده على أن الضمير عائد على الأرض.
ومثله أيضا: قوله تعالى: **(وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ)** هود: ٤١ فالسياق دال على أن الضمير في (فيها) عائد على (سفينة). ولا يعني ذلك أن هذين الموضعين يجوز التجزئة قبلهما، لكن المقصود القول بأن الضمير قد يفهم معناها في بعض السياقات من غير حاجة للعودة إلى مرجعه.

العنصر المحال إليه	عناصر الإحالة قبل علامة التجزئة	عنصر الإحالة بعد علامة التجزئة
(ٱلْكُفَّـــارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ) التوبة:٧٣	(يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ) التوبة: ٧٤	(وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) التوبة: ٧٥
(قالت أنى يكون لي **غلام**) مريم:٢٠	(وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا) مريم:٢١	(فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا) مريم: ٢٢
(عِبَاد مُّكْرَمُونَ) الأنبياء: ٢٦	(لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ) الأنبياء: ٢٧ـ٢٨	(وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ)الأنبياء: ٢٩
(موسى) في قوله: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ) القصص: ٧	من قوله: (أَنْ أَرْضِعِيهِ) إلى قوله: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) القصص: ٧ـ ١١	(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ) القصص: ١٢
(لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) القصص: ٤٦	من قوله: (وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) إلى قوله: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ) القصص: ٤٧ـ ٥٠	(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) القصص: ٥١
(يُونُسَ) الصافات:١٣٩	(إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(١٤٢) فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الصافات: ١٤٠ـ ١٤٤	(فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) الصافات: ١٤٥
(لِّلْمُتَّقِينَ) ص:٤٩	(جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) ص: ٥٠ـ٥١	(وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ) ص:٥٢
(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ) الطور:٢١	(أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ(٢١) وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) الطور: ٢١ـ ٢٣	(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ)الطور: ٢٤
(إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ) المنافقون:١	(ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) المنافقون: ٢ـ٣	(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) المنافقون:٤

العنصر المحال إليه	عناصر الإحالة قبل علامة التجزئة	عنصر الإحالة بعد علامة التجزئة
(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) الإنسان:٥	من قوله: (يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا) إلى قوله:(وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا(١٧) عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا)الإنسان: ٧ـ ١٨	(وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ) الإنسان: ١٩
(إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ) العاديات: ٦	(وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ(٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ) العاديات: ٧ـ٨	(أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ) العاديات: ٩

فالإحالة في هذه الشواهد ممتدة؛ حيث إن العنصر المحال إليه هو محور الفكرة الرئيس والكلام عنه متصل بلا اعتراض، وضمير الغيبة العائد على هذا العنصر بعد علامة التجزئة هو عنصر تركيبي تكرر أكثر من مرة، ومن ثم فإن الآيات تمثل لحمة واحدة غير قابلة للتفكك، وقطع القارئ لتلاوته عند هذه العلامة أمر يخل بوحدة الموضوع. فضلا عن ذلك فإن استئناف القارئ لتلاوته مبتدئا بالضمير من غير ذكر مرجعه يؤدي إلى الغموض.

ومن صور امتداد الإحالة أن تظهر في صورة حوار بين طرفين، وإذا كان من سمات لغة الحوار في القرآن الكريم تكرار فعل القول، فطرفا الحوار اللذان يسند إليهما القول كثيرا ما يأتيان في صورة ضمير الغيبة المستتر؛ إذ لا حاجة لإعادة ذكر المحال إليه مادام السياق دالا عليه، ومثال ذلك ما جاء من حوار بين سليمان (عليه السلام) والهدهد، قال تعالى: **(وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ(٢١) فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ(٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ(٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ (٢٦)** ۞ **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)** النمل: ٢٠ ـ ٢٧ فقد تكرر فعل القول المسند إلى ضمير الغيبة المستتر العائد على سليمان (عليه السلام)، وذلك في قوله: **(فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ)** ثم قوله: **(قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)**، ووجود علامة الربع قبل القول الآخر لا يعني جواز التوقف عن القراءة قبلها؛ إذ مثلت الإحالة التي تضمنها فعل القول المتكرر صورة للاستمرارية، فالمشهد واحد ومن كمال تصوره وتدبره ألا يجزأ.

ونحو ذلك أيضا الحوار الذي كان بين إبراهيم (عليه السلام) وضيفه في قوله تعالى: **(هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٤) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ(٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (٢٧) فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ(٢٨) فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ(٢٩) قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ (٣٠)** ۞ **قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ)** الذاريات: ٢٤ـ ٣١ فامتداد الإحالة كان ظِلًا لامتداد الأحداث، ولا شك في أن توقف القارئ عن القراءة عند علامة الربع وهي قبل قوله: **(قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ)** من شأنه أن يقطع تلك الاستمرارية.

وقد يعترض امتداد الإحالة عارض الاختلاف في صيغة الضمير فيتحول من الغيبة إلى المتكلم أو الخطاب ثم يعود بعدها لصورته الأولى، ونحو ذلك ما جاء من إخبار الله تعالى عما يلقاه أصحاب النار يوم الحساب في سورة فصلت، قال تعالى: **(وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ)** فصلت: ١٩ فقد بدأ المشهد بتحديد محوره الرئيس المحال إليه وهو: (أعداء الله) واتضح مصيرهم؛ إذ حشروا إلى النار، حتى إذا قام الحساب أخبر الله تعالى أن مفاجأة في انتظارهم لم تكن في حسبان أحد، قال سبحانه: **(حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)** فصلت:٢٠ واستدعى هذا الخبر العجيب شيئا من التفسير، فتأتي الآيات بعدها لتبين كيف شهدت هذه الأعضاء عليهم وهي بعض منهم، قال تعالى: **(وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)** فصلت:٢١ وكما نرى انتقلت صورة الكلام من صيغة الغيبة إلى صيغتي المتكلم والمخاطب اللذين استدعاهما هذا الحوار الحجاجي الموجز ثم يأتي التعقيب من الله سبحانه لهم بصيغة الخطاب ليقيم عليهم الحجة، قال جل شأنه: **(وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)** فصلت: ٢٢ـ٢٣ ثم يعود الكلام إلى صورته الأولى (الإخبار عنهم بضمير الغيبة)؛ قال تعالى معقبا على حالهم: **(فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ** (٢٤) ۞**وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ)** فصلت: ٢٤ـ ٢٥

فاستخدام صيغة الغيبة كان الأصل الذي به ابتدئ وختم، وذلك لأن الغرض من سوق هذا المشهد هو الحديث عن أولئك لا إليهم، وذلك ليكون خبرهم عبرة

للمعتبرين. ومن ثم يمكننا القول بأن الإحالة هنا ممتدة؛ فضمائر الغيبة في الآيتين الأخيرتين عائدة على (أعداء الله) في مشهد واحد لا يقبل التجزئة، وبناء على ذلك فإن قطع القارئ لقراءته عند علامة الربع قبل قوله: **(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ)** لا يؤدي إلى اكتمال المشهد بل يخل بوحدته[1].

ضمائر المخاطبة

والأصل في استخدام صيغة المخاطبة في القرآن الكريم أن يكون صاحب الخطاب هو الخالق سبحانه وتعالى، والمقصودون بالخطاب هم الخلق، فالقرآن منظومة اتصالية من أهدافها الرئيسة البلاغ، قال تعالى: **(هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)** إبراهيم: ٥٢ وكثيرا ما تمثل هذه الصيغة في القرآن الكريم صورة من صور الاستمرارية؛ إذ يُلْتَفت عنها لاستكمال غايات البلاغ ثم يعاد إليها، انظر ـ على سبيل المثال ـ كيف بدأت سورة يوسف بصيغة الخطاب للنبي ﷺ، قال تعالى: **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)**يوسف: ٣ ثم كان الالتفات عن تلك الصيغة والشروع في أحداث القصة، حتى إذا انتهت عاد الكلام إلى سيرته الأولى، قال جل شأنه بعد اكتمال السرد: **(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)** يوسف: ١٠٢ وهذا يوضح أن القصة بما حوته هي من مستكملات التواصل بين طرفي الخطاب، وهو يظهر كذلك أن استخدام صيغة الخطاب بهذه الصورة من شأنه أن يرد آخر النص على أوله، وهذا من الوسائل التي يتحقق بها تماسك النص.

ومثل هذه الارتباطات بين أجزاء النص تجعل تجزئته مسألة غير مقبولة، وخصوصا إذا لم يكن الفاصل بين الخطابين طويلا كما هو في سورة الممتحنة، فقد بدأت بمخاطبة المؤمنين، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** الممتحنة:١ فالغرض من هذا

---

[1] ونحو ذلك في سورة يس في الكلام عن الرجل المذكور في قوله تعالى: **(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)** يس: ٢٠ ثم يحاور قومه مستخدما صيغتي المتكلم والمخاطب، ثم تختم القصة بتعقيب من الله تعالى **(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ)** يس: ٢٨ فتعود ضيغة الغيبة للتعبير عنهم. وقد جاءت بداية الربع مع هذا التعقيب.

الخطاب هو تحذير المؤمنين عموما والمهاجرين خصوصا من موالاة من عاداهم من المشركين، "وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال، وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالفعل والقول، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين[١]." ثم كان التحول عن خطاب المؤمنين بآيات تضرب المثل بإبراهيم (عليه السلام) والذين آمنوا معه حين تبرءوا من قومهم حتى يؤمنوا بالله وحده قال تعالى: **(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)** الممتحنة: ٤ وكان هذا التحول دائرا في فلك الغرض نفسه، فهو "تمثيل الحالة الصالحة بمثال من فعل أهل الإيمان الصادق والاستقامة القويمة وناهيك بها من أسوة[٢]." ولا يعني هذا التحول بحال أن خطاب الله للمؤمنين انتهى، بل جاء استئناف له متصل بأول السورة، في قوله جل شأنه:**(۞عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم)** الممتحنة: ٧ فهذه "تسلية لهم على ما نهوا عنه من مواصلة أقربائهم، بأن يرجو من الله أن يجعل قطيعتهم آيلة إلى مودة بأن يسلم المشركون من قرابة المؤمنين، وقد حقق الله ذلك يوم فتح مكة[٣]."

إن هذا النص بأجزائه المذكورة وهي: خطاب الله تعالى للمؤمنين محذرا لهم من موالاة المشركين وإن كانوا ذوي قربى، ثم حثهم على الاقتداء بإبراهيم (عليه السلام) ومن معه في معاملة قومهم، ثم العودة لبث الأمل في نفوس المؤمنين بأن تعود المودة بينهم وبين المشركين شكّل وحدة موضوعية غير قابلة للتجزئة، ومن ثم فإن عدّ القارئ علامة الربع هنا إيذانا له بالتوقف قبلها أو البدء بما بعدها يخل بذلك التماسك ويؤدى إلى فهم منقوص للنص.

استمرار صيغة الخطاب

وجاءت ضمائر المخاطبة في بعض المواضع بصور لا يتناسب معها قطع القراءة قبل علامة التجزئة؛ إذ يكون التوقف عندئذ مؤديا للإخلال باتساق الآيات، ومن ذلك أن يكون الخطاب مستمرا، فضمير الخطاب قبل العلامة وبعدها هو محور الكلام، والغرض من الخطاب واحد، وجاء ذلك في مواضع عدة منها:

---

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٣١/٢٨

[٢] المصدر نفسه ١٤٢/٢٨

[٣] المصدر نفسه ١٥٠/٢٨

صيغة الخطاب قبل علامة التجزئة	صيغة الخطاب بعد علامة التجزئة	غرض الخطاب
(وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ) البقرة: ١٩٦	(وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ) البقرة: ٢٠٣	الخطاب متصل بغرض التشريع
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ) البقرة: ٢٨٢	(وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ) البقرة: ٢٨٣	
(يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ) النساء: ١١	(وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ) النساء:١٢	
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) الأحزاب: ٥٠	(تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ)الأحزاب ٥١	
(وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ) الأنفال: ٣٩	(وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ) الأنفال: ٤١	
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ) النساء: ٢٩	(وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) النساء: ٣٦	الخطاب إرشادي متصل جاء على صورتي النهي أوالأمر
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم: ٣٠	(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) الروم: ٣١	
(ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ) العنكبوت: ٤٥	(وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) العنكبوت: ٤٦	
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً) آل عمران: ١٣٠	(وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) آل عمران: ١٣٣	
(قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) الأحزاب: ١٦	(قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) الأحزاب: ١٨	الخطاب إخباري متصل
(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) الأحزاب: ٣٠	(وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) الأحزاب: ٣١	
(وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)الشورى: ١٠	(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا) الشورى: ١٣	
(وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ) ص: ١٧	(وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ) ص: ٢١	الخطاب متصل لاستكمال السرد

فاستمرار صيغة الخطاب في المواضع السابقة مع وحدة الغرض ووحدة طرفي الخطاب من المؤشرات الدالة على الاتساق، وهذا يستوجب ألا ينقطع جزء من النص فيتوقف القارئ عنده دون بقية الأجزاء.

وقد تأتي صيغة الخطاب على صورة مقول القول الموسع، فتمتد لتكون في عدة آيات، ونحو ذلك قوله تعالى: **(وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ(٣٥) ۞هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ)** المؤمنون: ٣٣-٣٨

وقوله تعالى: **(كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٧٨) فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٠) ۞أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ)**الشعراء: ١٧٦- ١٨٣

وقوله عز وجل: **(قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ)** الأعراف: ١٥٥-١٥٦

فالجمل الواقعة قبل علامة الربع **وهي: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ)** و**(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)** و**(فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ)** جمل مكتملة الأركان، وتؤدى إلى معنى تام يحسن السكوت عليه، لكن بالنظر إليها في ضوء النص لا الجملة يتضح أنها مترابطة برباط قوي مع ما بعدها، هو وحدة القائل والمخاطب والموقف، ومن ثم فالفصل بينهما بالتجزئة يخل بالفكرة. ففي الموضع الأول استمر قول الملأ من أول الآيات إلى آخرها، وكان خطابا وجهوه إلى قومهم بهدف تشويه رسولهم ورسالته. ومجيء علامة الربع قبل: **(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)** كان بمثابة التجزئة لقولهم. وترتب على ذلك أنك ترى اليوم كثيرا من القراء يقطعون القراءة عند قوله تعالى: **(أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ)** ثم يعودون مبتدئين بقوله: **(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)** وفي ذلك قطع لما حقه أن يستمر. ومثل ذلك أيضا في الموضع الثاني، فالقول لشعيب، والمخاطب قومه والغرض دعوتهم إلى طاعة الله واجتناب معصيته، فلا يجوز قطع القراءة في أثناء خطابه اتباعا لعلامة الربع، ومثل ذلك في الموضع

الأخير، فالقول لموسى (عليه السلام) وهو مناجاة ودعاء لله تعالى. ومن ثم فعلامة التجزئة جاءت في هذه المواضع لتفصل بين جمل مترابطة، وتوقف القارئ عن القراءة قبلها أو البدء بما بعدها أمر لا يؤدي بحال إلى كمال التدبر الذي أمرنا الله تعالى به.

وقد يأتي الخطاب المستمر على صورة حوار بين طرفين كما هو في سورة الكهف التي نقلت لنا حوارا بين موسى (عليه السلام) والعبد الصالح، ومما جاء فيه قوله تعالى: **(فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا (٧٤) ۝قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا)** الكهف: ٧٤- ٧٦ ولا شك في أن تجزئة مثل هذا الحوار الذي يدور حول موقف واحد تخل بفكرته. وليس من الصواب لمن يقرأ قصة أن يقطع قراءته عند جزء من حوار قصير إلا أن يكون مضطرا، هذا في الكلام العادي فما بالنا بالقرآن الكريم الذي أمرنا الله بتدبر آياته. إن من أبسط القواعد التي تعيق الفهم أن يكون ثمة حوار تستمع إليه أو تقرؤه فينقطع عند سؤال أحد الطرفين ثم تأتي بعد ذلك لتبدأ بالإجابة عن ذلك السؤال الذي تركته. والحقيقة هي أن كثيرا منا يفعل ذلك حين يقسم قراءته أو ورده فيقف عند نهاية الجزء ويستأنف عند بدايته، وقوله تعالى: **(قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا)** هو بداية جزء، والبدء به يناقض بلا شك أوليات الفهم بله التدبر.

إن استمرار صيغة الخطاب مثلت رابطا واضحا بين الآيات في المواضع السابقة، لكن ثمة مواضع أخرى استمرت في آياتها صيغة الخطاب لكن مع خفاء العلاقة بين أجزاء الخطاب، فلا يكاد يدرك تماسكها إلا المدقق المتفحص، وذلك نظرا لوجود اعتراض مستطرد يفصل بينها، ونحو ذلك في قوله تعالى: **(۝إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا)** النساء: ١٦٣ فمن ينظر إلى هذه الآية وما بعدها ـ وقد وقعت عند رأس الربع ـ يحسب أنها منفكة الصلة بما قبلها، وهو قوله تعالى: **(لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا)** النساء: ١٦٢ فصيغة الخطاب في الآيتين مستمرة، لكن ترى ما الذي يربط بينهما؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعي الرجوع إلى قوله تعالى: **(يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا)**

النساء: ١٥٣ قال فخر الدين الرازي موضحا الرابط بين الخطابين: "اعلم أنه تعالى لما حكى أن اليهود سألوا الرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون ذلك لأجل الاسترشاد ولكن لأجل العناد واللجاج، وحكى أنواعا كثيرة من فضائحهم وقبائحهم، وامتد الكلام إلى هذا المقام، شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقال: **(إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ)**[١]."

وبناء على هذا الفهم فإن الآيات التي جاءت بعد علامة الربع هي استئناف لآيات سبقت، غير أنه استُطردت بينهما جمل في مخالفة أسلاف أولئك اليهود، وذلك ما بيَّنه الله تعالى بقوله: **(فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ)** النساء: ١٥٣ ثم ذكر سبحانه ما نالهم من جراء ذلك، ثم بعد هذا الاستطراد الذي امتد إلى نهاية الربع عند قوله: **(أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمٗا)** النساء: ١٦٢ بيّن أن إنزال القرآن على محمد ﷺ لم يكن بدعا، فإنه شأن الوحي للرسل، فلم يقدح في رسالتهم أنهم لم ينزل عليهم كتاب من السماء[٢].

وقد يُدرك الرابط بين الخطابين بالاطلاع على ملابسات النص من أسباب نزول أو المكي والمدني أو معرفة بالناسخ والمنسوخ إلى غير ذلك، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ)** المزمل: ٢٠ فهذا الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين متصل بخطاب آخر في بداية السورة، وهو قوله سبحانه: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا)** المزمل: ١-٤ وعلى الرغم من أن الخطابين لم ينزلنا في الوقت نفسه[٣] فإن الصلة بينهما واضحة؛ إذ إن قوله (إن ربك يعلم) الآية، نزلت تخفيفا لما كان استمر من أمر قيام الليل إما على الوجوب أو على الندب حسب ما جاءت به الآيات الأول[٤]. وعلى هذا قيل بأنّها منسوخة بالآية الأخيرة[٥].

---

[١] تفسير الرازي ١١٠/١١

[٢] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١/٦

[٣] ينظر في تفصيل هذا الأمر التحرير والتنوير ٢٧٨/٢٩-٢٧٩

[٤] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ١٩١٤

[٥] قال مكي بن أبي طالب: "فرض قيام الليل في قوله: (قم الليل إلا قليلا) الآية منسوخ بقوله: (فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى)." الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب ٤٤٢

فدرجة التماسك بين الآيات في الموضعين السابقين (النساء والمزمل)[١] أقل وضوحا مما هي عليه في المواضع التي سبقتهما؛ حيث إن العودة إلى الخطاب بعد هذا الاعتراض المستطرد حتّم أن يكون له في صورته سمة الاستقلال الموضوعي، فمن ينظر إلى قوله تعالى:(۞ **إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ**) الآية، أو قوله: (**۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ**) الآية يرى أن كلا منهما يحمل فكرة إن بدأ بها القارئ أدت معنى واضحا، لذا فإن له هنا أن يفعل. والأرجح عندي أن توصل أجزاء الخطاب مادام الموضوع واحدا.

لكن هذا الاعتراض قد يُطْنب فيه على نحو أكبر مما سبق فتضعف وشائج الصلة بين أجزاء الخطاب ويتجلى ذلك في قوله تعالى: (**لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ**) البقرة: ١٧٧ فهو متصل بقوله: (**سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ**) البقرة: ١٤٢ وما بينهما يقدر بربعين كاملين؛ إذ الآيتان كلتاهما رأسا ربع. وعلى الرغم من تلك الصلة الموضوعية بينهما فإن طول الفاصل يحول دون عدهما جزءا واحدا عند التجزئة، ودعم ذلك كون هذا الفاصل الطويل تطرق لموضوعات مختلفة.

وقد يستمر الخطاب وتكون غايته واحدة، لكن يتفرع منها موضوعات مختلفة، ونحو ذلك ما جاء في قول الله تعالى لنبيه: (**وَٱسۡأَلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ**) الزخرف: ٤٥ فالله تعالى ما أمر بعبادة آلهة دونه على لسان أحد من رسله، وقد هيأت هذه الآية المقام لبيان حال بعض الرسل وحقيقة ما دعوا به أقوامهم، وعاقبة تكذيبهم، فجاء بعدها ذكر موسى (عليه السلام) ثم جاءت علامة الربع التي انتقل بعدها الخطاب لذكر عيسى (عليه السلام) قال تعالى: (**۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ**)الزخرف: ٥٧ فالتوقف عن القراءة حيث انتهى ذكر موسى (عليه السلام) ثم استئنافها عند ذكر عيسى اتباعا لعلامة التجزئة التي جاءت قبل هذه الآية الأخيرة أمر يمكن استساغته؛ إذ الموضوعان مختلفان، وإن كان ثمة غاية كبرى للخطاب اجتمعت تحتها موضوعات فرعية.

---

[١] هناك مواضع أخرى استمر فيها الخطاب مع وقوع الاعتراض أثناءه غير هذين الموضعين، ومثل ذلك جاء في قوله تعالى:(**لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ**) الفتح: ١٨ فهذا الخطاب للنبي ﷺ هو استمرار لقوله تعالى: (**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ**) الفتح: ١٠ أما ما بينهما فهو اعتراض فيه حال المخلفين من الأعراب، وإبطال اعتذارهم وكشف طويتهم، وإقصائهم عن الخير الذي أعده الله للمبايعين وأرجائهم إلى خير يسنح من بعد إن هم صدقوا التوبة وأخلصوا النية. ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٦/ ١٧٣

ومثل ذلك ما جاء في خطاب الله (عز وجل) للنبي ﷺ وقومه في سورة الكهف، حين قال: **(وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا)** الكهف:٢٩ـ٣٠ فـ"بعد أن بيّن سبحانه وتعالى لهم ما أعد لأهل الشرك وذكر ما يقابله مما أعده للذين آمنوا ضرب مثلا لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر[١]." وذلك في قوله تعالى: **(۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ)** الآيات من ٣٢ـ ٤٤ فعلى الرغم من أن الخطاب مستمر، فإن قطعه وفقا لعلامة الربع التي جاءت قبل قوله: **(وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلا)** (الآية) يمكن استساغته؛ إذ الآيات بعدها ذات موضوع مستقل.

الإحالة بأسماء الإشارة

عدّ النصيون أسماء الإشارة من وسائل الاتساق النصي؛ إذ إنها قد تستعمل استعمال الروابط فتنقل معنى ما يسبقها إلى معنى ما يلحقها، وتكون بديلة عن مفرد أو جملة أو نص. كما أنها تقوم بالربط القبلي والبعدي، فإذا جاء المسمى الذي يزيل إبهام اسم الإشارة بعده، فالإحالة هنا إلى لاحق، وذلك إذا كان في بداية جملة أو نص. أما إذا كان ذلك في الوسط أو في النهاية، فربما يرد المسمى أو لا يرد، وفي كلتا الحالتين لابد من وجود صلة بين بنية الإحالة لاسم الإشارة، والكلام السابق عليها حتى ولو لم تكن الإشارة إلى متأخر[٢].

وفطن بعض اللغويين قديما إلى ذلك الدور الذي تؤديه أسماء الإشارة في الربط بين أجزاء الكلام، فجعلوا اسم الإشارة الموضوع للبعيد، كـ(ذلك) ونحوه "كضمير الغائب يحتاج إلى مذكور قبلُ، أو محسوس قبلُ، حتى يشار إليه به، فيكون كضمير راجع إلى ما قبله[٣]، وشرح ذلك الرضي حين قال: "لفظ (ذلك) يصح أن يشار به إلى كل غائب، عينا كان أو معنى، يحكى عنه أولًا ثم يؤتى باسم الإشارة، تقول في العين: جاءني رجل فقلت لذلك الرجل، وفي المعنى: تضاربوا ضربا بليغا، فهالني ذلك الضرب[٤]."

---

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٠٧/١٥

[٢] ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، دكتور سعيد بحيري ص ١٤٧

[٣] شرح الرضي على الكافية ٤٧٩/٢

[٤] المصدر نفسه ٤٧٨/٢

وأما الموضوع منها للقريب كـ(هذا) ونحوه فالأصل أنها لا تشير إلا لما هو محسوس وحاضر، فالإحالة عندئذٍ مقامية، "فلو رأيت رجلين تنكر أحدهما لقلت للذي تعرف: من هذا الذي معك؟ ولا يجوز هاهنا: من ذلك؟ لأنك تراه بعينك[١]." فاسم الإشارة هنا لا يحيل لما هو مذكور بل لما هو معاين، وهو مفهوم من المقام. لكن الرضي يشير إلى أنها قد تخرج عن هذا الأصل فتستخدم للإحالة النصية فتكون كـ(ذلك) ونحوها، قال: "وإنما يورد اسم الإشارة بلفظ البعد لأن المحكي عنه غائب، ويجوز في هذه الصورة على قِلّة أن يذكر اسم الإشارة بلفظ الحاضر القريب نحو: قلت لهذا الرجل، وهالني هذا الضرب، أي هذا المذكور عن قريب، لأن المحكي عنه وإن كان غائبا إلا أن ذكره جرى عن قريب فكأنه حاضر[٢]."

وشرح الفراء هذه المسألة شرحا واضحا عند تحليله لقوله تعالى: **(ذلك الكتاب لا ريب فيه)** البقرة: ٢ قال: "قوله: (هذا) و(ذلك) يصلحان في كل كلام إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه. ألا ترى أنك تقول: قد قدم فلان، فيقول السامع: قد بلغنا ذلك، وقد بلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه (هذا)؛ لأنه قد قرب من جوابه، فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت فيه (ذلك) لانقضائه، والمنقضي كالغائب[٣]." ولم تتوقف رؤيته في هذا الصدد عند حدود الجملة بل نجد أنها تجاوزتها لتبين دور الربط الإحالي لأسماء الإشارة بين أجزاء النص، قال: "وقد قال الله جل وعز: **(وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ)** إلى قوله: **(وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ)** ثم قال: **(هَٰذَا ذِكۡرٞۚ)** ص: ٤٥-٤٩، وقال جل وعز في موضع آخر: **(وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٞ)** ثم قال: **(هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)** ص: ٥٢- ٥٣. وقال جل ذكره: **(وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ)**، ثم قال: **(ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ)** ق: ١٩ ولو قيل في مثله من الكلام في موضع (ذلك): (هذا) أو في موضع (هذا): (ذلك) لكان صوابا[٤]."

وهذه الأمثلة التي ساقها أبو زكريا (رحمه الله) لا تبرهن على أن (هذا) تأتي في موضع (ذلك) أو أن (ذلك) تأتي في موضع (هذا) فحسب، فهي كذلك تبين الدور الذي يقوم به هذان اللفظان وما شابههما في تحقيق التماسك النصي، فما بعد اسم الإشارة في المواضع السابقة يرتبط بما قبله فهما معا موضوع واحد لا يصح تجزئته.

---

[١] معاني القرآن، للفراء ١/ ١١
[٢] شرح الرضي على الكافية ٤٧٩/٢
[٣] معاني القرآن، للفراء ١٠/١
[٤] المصدر نفسه ١١/١

غير أن علامة التجزئة في المصحف الشريف لم تراع هذا الأمر، فجاءت لتفصل بين اسم الإشارة وما يحيل إليه في بعض المواضع، وترتب على ذلك أن كثيرا من القارئين تعمدوا الفصل بين عنصر الإحالة والمحال إليه، فكان في ذلك إخلال بالوحدة الموضوعية للآيات، ومن الأمثلة على هذا، ما جاء في قوله تعالى: **(هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ)** الحج: ١٩ فاسم الإشارة هنا ربط بين ما قبله وما بعده ربطا واضحا، فالخصمان اللذان أشير إليهما جاء ذكرهما في الآية السابقة، وذلك قوله تعالى: **(وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ)** الحج: ١٨، ثم جاء البيان عن أحوال هذين الخصمين في الآيات اللاحقة. وبيّن ابن عاشور ذلك التماسك الواقع بين هذه الآيات حين قال: "مقتضى سياق السورة واتصال آي السورة وتتابعها في النزول أن تكون هذه الآيات متصلة النزول بالآيات التي قبلها، فيكون موقع جملة: (هذان خصمان) موقع الاستئناف البياني. لأن قوله: (وكثير حق عليه العذاب) يثير سؤال من يسأل عن بعض تفصيل صفة العذاب الذي حق على كثير من الناس الذين لم يسجدوا لله تعالى، فجاءت هذه الجملة لتفصيل ذلك[1]." وبناء على هذا فإن توقف القارئ عن القراءة قبل عنصر الإحالة الذي يبدأ به الربع (هذان خصمان) من شأنه أن يقطع كلاما يدور حول موضوع واحد، وحقه أن يكون متصلا.

وزاد من تعيين المشار إليه هنا كونه مخبرا عنه بقوله: **(خصمان اختصموا في ربهم)** بعد اسم الإشارة، وفي ذلك إظهار لفظي لشدة ارتباط ما بعده بما قبله. غير أن ثمة مواضع قد يأتي اسم الإشارة من دون أن يكون بعده لفظ يُعين على تحديده، فيترك ذلك لفهم المتلقي للسياق، لكن ذلك يزيده إبهاما مما يجعل تعلقه بالمشار إليه المذكور قبله قويا لأنه لا يزيل هذا الإبهام إلا ذاك التعلق. ويمكن توضيح ذلك إذا تأملنا قوله تعالى: **(۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)** آل عمران:١٥ فقوله: **(ذلكم)** اسم مبهم لا سبيل لفهمه هنا إلا بالعودة لما يشير إليه في الآية السابقة، وهي قوله: **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ)** آل عمران: ١٤ فالإشارة بـ**(ذلكم)** إلى ما تقدم من ذكر الشهوات[2] وما عسى أن يفهم القارئ المقصود بـ(ذلكم) إن كانت بداية تلاوته عند رأس الربع؟ لذا كان لزاما ألا يفصل بين عنصر الإحالة المبهم وما يحيل إليه. وجدير بالذكر أن نشير إلى أن ثمة نوعا

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢٨/١٧ والنص يشير إلى قوله تعالى: **(فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ)** وما بعدها، الحج: ١٩ ـ ٢٢

[2] ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي ٦٤/٣

آخر من الإحالة تضمنته هذه الآية وطد الصلة بينها وبين الآية التي تسبقها، وذلك ما أطلق عليه النصيون الإحالة بالمقارنة[١] فاسم التفضيل (خير) في الآية الكريمة يقتضي أن يكون ثمة مفضل ومفضل عليه. فأما المفضل عليه هنا فهو ما أشار إليه قوله: (ذلكم) وهي الشهوات المذكورة في الآية التي وقعت في آخر الربع، وأما المفضل فقد جاء في الآية التي بدأ بها الربع، وهو قوله: **(لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ)** آل عمران:١٥ وفصل القارئ بينهما فيه لتلك المقارنة التي عمدت الآيات إلى بيانها.

ويمكن استخدام اسم الإشارة لتكون له إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل، وذلك ما أطلق عليه هاليدي ورقية حسن (الإحالة الموسعة)[٢]. وشرح الدكتور تمام حسان هذا النوع من الإحالة ومثل له في العربية حين قال: "وتتضح كفاءة الألفاظ الكنائية حين تستعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي ينشط مساحات واسعة من المعلومات نحو الإشارة إلى ما سبق في قوله تعالى: **(هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ)** ص: ٥٥[٣]."

وجاء هذا النمط من الإحالة عند رأس أحد الأرباع، فكانت علامة التجزئة فاصلا بين الخبرين اللذين ربط اسم الإشارة بينهما، وذلك في قوله تعالى: **(۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ)** الحج:٦٠ فالمقصود بقوله: (ذلك)، "ما قصصناه عليك من إنجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا[٤]." وفي هذا إشارة إلى قوله: **(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ)** الحج: ٥٨ـ٥٩، ثم جاء الربط بالعطف ليصل ذلك بما بعده، فـ"جملة: (من عاقب) إلخ. معطوفة على جملة (والذين هاجروا في سبيل الله) الآية[٥]." فالبدء بـ(ذلك) هنا مبهم إذ لا سبيل لفهم ما يشير إليه إلا بالعودة إلى ما سبقه، ومن ثم فالفصل بين ما قبله وما بعده اتباعا لعلامة التجزئة هو بمثابة تفكيك لما هو متماسك.

---

[١] ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي١٩

[٢] المرجع نفسه ١٩

[٣] النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ٣٣ ، وجاء تفسير اللغويين القدماء على نحو آخر بينه الرضي حين قال: "وكذا إذا وليت (إن) الواو بعد قولك: هذا أو ذاك تقريرا للكلام السابق، قال تعالى: (**ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)** الأنفال: ١٨ فـ(ذلكم) خبر مبتدأ محذوف، و(أن) عطف على هذا الخبر، أي: الأمر ذلك، والأمر أيضا أن الله موهن." شرح الرضي على الكافية ٣٤٤/٤ فهو بذلك جعل الأمر محصورا في نطاق عطف الجمل من غير أن يلتفت إلى السياق النصي كما فعل اللغويون المعاصرون.

[٤] تفسير الرازي ٦٠/٢٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤٣٥/٣

[٥] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١١/١٧

ويدخل في الإحالة الموسعة أن يكون اسم الإشارة محيلا إلى أخبار متعددة ذكرت قبله، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)** البقرة:٢٥٣ ففي قوله: (تلك الرسل) إشارة إلى أخبار سبقت في مواضع مختلفة عن إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، قال ابن عاشور: "فإن الله تعالى لما أنبأ باختيار الرسل إبراهيم وموسى وعيسى وما عرض لهم مع أقوامهم، وختم ذلك بقوله: **(تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ)** البقرة:٢٥٢ جمع ذلك كله في قوله: **(تلك الرسل)** لفتا إلى العبر التي في خلال ذلك كله[١]." ولو أن ذكر هؤلاء الرسل جاء متتابعا ثم جاء بعد ذلك قوله: **(تلك الرسل)** لكان القول بالترابط أظهر، لكنه جاء إجمالا بعد تفصيل ذكرهم في مواضع متباعدة مما جعل الصلة بينهما أخفى، فضلا عما تخلل الآيات من اعتراضات مستطردة جعلت القول بأن ثمة موضوعا واحدا لايقبل التجزئة غير مقبول.

ثانيا: الاتساق بأدوات الربط (العطف)

يعد مبحث العطف من أبرز أبواب النحو التي تلتقي عندها عناية الدارسين للجملة والنص، ففي حدود الجملة تصل أدوات العطف بين المفردات (المعطوف والمعطوف عليه). وأما في إطار النص فإنها تكون "علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص[٢]." وهو في الحالين يحقق الاتساق بين أجزاء الكلام؛ فإن عطفت مفردا على مفرد فـ"الغرض من ذلك اختصار العامل واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، فإذا قلت: قام زيد وعمرو فأصله: قام زيد قام عمرو فحذفت قام الثانية لدلالة الأولى عليها، وصار الفعل عاملا في المعطوف والمعطوف عليه[٣]."وإن عطفت جملة على جملة "فالغرض منه ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى[٤]."

---

[١] المصدر نفسه ٥/٣

[٢] نسيج النص، الأزهر الزناد ٣٧

[٣] شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٧٥ وذكر ابن يعيش في الموضع نفسه بأن ما ذكره هو مذهب سيبويه وجماعة من المحققين، ثم عرض آراء أخرى تتعلق باختلاف النحاة في قضية العامل في المعطوف، وهذا أمر لا يعنينا؛ إذ إنه على كل حال يكون الغرض من العطف هو مشاركة المعطوف للمعطوف عليه، وإن اختلف في العطف بـ(لا- بل - لكن) في الإيجاب أو النفي. ينظر: بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف ص١٩٤

[٤] شرح المفصل، لابن يعيش ٣/ ٧٥

عطف المفردات

وأقوى النمطين تحقيقا للتماسك هو عطف المفردات؛ إذ به يتماثل المعنى النحوي للمعطوف والمعطوف عليه، ويوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: "ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يُشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعولٌ به أو فيه أو له شريك له في ذلك[1]." فإن تعددت المعطوفات فهي تأخذ المعنى النحوي نفسه للمعطوف عليه، ومن ثم فإن الصلة بينها تكون من القوة بالمكان الذي لا يجوز معه القطع على المعطوف عليه أو على أحد المعطوفات حال تعددها ثم الاستئناف بمعطوف آخر.

وقد جاءت علامة التجزئة لتفصل بين المعطوفات في قوله تعالى: **(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورا رَّحِيما(٢٣) ۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)** النساء:٢٣ـ ٢٤ فالمعطوف عليه (أمهاتُكم) هو أول ما أسند إليه الفعل (حُرِّمت) ثم جاءت المعطوفات كلها لتشترك معه في هذا المعنى النحوي، فجميعها مما يحرم نكاحها. ومن ثم فإن انقطاع التلاوة عند آخر الآية الأولى أو استئنافها من أول الآية الأخرى يؤدي إلى الفصل بين المتلازمات، ومن شأن ذلك أن يضر بالمعنى، فلا يجوز أن يتوقف القارئ عن التلاوة دون **(وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ)** إذ هي من جملة ما حُرِّم، ومن توقف عندئذ فقد ذكر الخبر التشريعي من غير استيفاء. وأقبح من ذلك أن يبدأ بها نظرا لما يؤدي إليه هذا من غموض، وكيف يراد لكلام أن يفهم وقد غيب جُل أركانه؟ فقوله: **(وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ)** آخر حلقة في سلسلة من المعطوفات تتبع (أمهاتكم) التي أسند إليها (حرمت عليكم).

عطف الجمل المشتركة في الوظيفة النحوية

ويقصد بذلك أن يكون للجملة المعطوف عليها معنى نحوي ينتقل إلى الجملة المعطوفة، وهذا النمط يشبه في قوة الصلة بين ركنيه ما كان في عطف المفردات بين المعطوف والمعطوف عليه، وشرح ذلك عبد القاهر الجرجاني

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٢٢ـ٢٢٣

حين قال: "لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجه الحاجة إلى (الواو) ظاهرا، والإشراك بها في الحكم موجودا. فإن قلت: (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح) كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة[1]." وما يعنينا ههنا هو التأكيد على أن هذا النمط التركيبي يتحقق بين أجزائه نوع من الاتساق الذي لا يجوز معه التجزئة، فإن كان المعنى النحوي للجملة المعطوف عليها قد سرى إلى الجملة المعطوفة من خلال أداة العطف فإن ذلك يعني أن هذه الأجزاء تؤدي معنى أراد صاحبه أن يبلغه جملة واحدة من غير تفكيك، ومثل ذلك قوله تعالى: **(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)** النمل: ٤٨ فجملة (يفسدون في الأرض) نعت لـ(تسعة رهط) وكذا جملة (لا يصلحون) فإنها اشتركت مع الأولى في الوظيفة النحوية (الوصف). فالفصل بينهما ينافي الغاية التي من أجلها سيق الكلام، وهو إكسابهم أكثر من صفة.

والتوقف عن التلاوة دون جملة معطوفة على ما قبلها وهما يحملان الوظيفة النحوية نفسها أمر جرت عليه عادة كثير من القارئين الذين يجعلون من علامات التجزئة في المصحف دليلا يؤذن لهم بالقطع أو البدأ. ونحو ذلك أن يبدأ أحدهم بقوله تعالى: (۞**وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُور رَّحِيم)** يوسف: ٥٣ فهذه الآية الكريمة هي رأس الجزء الثالث عشر في المصحف الشريف، وذلك لا يعني بحال صحة أن يتوقف القارئ على ما قبلها أو أن يبدأ بها التلاوة؛ إذ لا سبيل لفهمها إلا إذا اتصلت بما قبلها، وهو قوله تعالى: **(قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ)**. فجملة **(ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ)** هي في اصطلاح النحويين جملة مقول القول، وما بعدها من جمل هو استمرار لحكاية قولها، لذا قال أبو حيان عن قوله: **(وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ)**: "من كلام امرأة العزير، وهو داخل تحت قوله: (قالت)[2]." فالوظيفة النحوية لهذه الجمل المتتابعة بعد قوله: (قالت) واحدة، فهي حكاية قولها. فكيف لمن أراد لنفسه الفهم أن يقطع قراءته عند بعض هذا القول، أو أن يبدأ ببعضه؟ اللهم إلا إذا كان قد اضطر إلى ذلك اضطرارا.

---

[1] المصدر نفسه ٢٢٣

[2] البحر المحيط، لأبي حيان ٣١٦/٥

المناسبة المعنوية بين الجمل المعطوفة

وقد لا يكون ثمة اشتراك في الوظيفة النحوية بين الجمل المعطوفة بل يكون الرابط بينهما هو المناسبة المعنوية، وذلك ما ذكره عبد القاهر الجرجاني حينما قال: "يجب أن يكون المحدَّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدَّث عنه في الأخرى[١]."وشرح المقصود بذلك حين قال: "إنا وإن كنا إذا قلنا: (زيد قائم وعمرو قاعد)، فإنا لا نرى ههنا حكما نزعم أن (الواو) جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإنا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع. وذلك أنا لا نقول: (زيد قائم وعمرو قاعد)، حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني. يدلك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يُذكَر بذكره ويتصل حديثه بحديثه، لم يستقم. فلو قلت: (خرجت اليوم من داري) ثم قلت: (وأحسن الذي يقول بيت كذا)، قلت ما يضحك منه[٢]." ولا نسوّي بين أن تفصل علامة التجزئة بين جملتين ليس بينهما إلا المناسبة المعنوية، وأن يكون الفصل بين أخريين اشتركتا في الوظيفة النحوية على نحو ما تبين فيما سبق؛ إذ لا شك في أن الصلة بينهما أقل وضوحا في هذا النمط الذي نحن بصدده.

وفصلت علامة التجزئة بين جملتين بينهما مناسبة معنوية في مواضع منها أنها جاءت قبل قوله تعالى: **(۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ)** البقرة: ٢٣٣ وهو معطوف على قوله: **(وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ)** البقرة: ٢٣٢ واتصالهما بالعطف دل على اتحاد السياق، "ففقوله: (والوالدات) معناه: الوالدات منهن، أي المطلقات المتقدم الإخبار عنهن في الآي الماضية، أي من المطلقات اللائي لهن أولاد في سن الرضاعة، ودليل التخصيص أن الخلاف في مدة الرضاعة لا يقع بين الأب والأم إلا بعد الفراق، ولا يقع في حال العصمة؛ إذ من العادة المعروفة عند العرب ومعظم الأمم أن الأمهات يرضعن أولادهن في مدة العصمة، وأنه لا تمتنع منهن من تمتنع إلا لسبب طلب التزوج بزوج جديد بعد فراق والد الرضيع[٣]" ووجه المناسبة بين الجملتين غير خفي، وذلك أنه لما نهى عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات لأن ذلك قد يضر

[١] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٢٥
[٢] المصدر نفسه ٢٢٤ـ٢٢٥
[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤٢٩/٢

بالأولاد، ويقل رغبة الأزواج فيهن، كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهم في ذلك الأمر[١]. وبناء على ذلك فإنه لا ينبغي أن يتوقف القارئ عند علامة الربع التي فصلت بين هاتيين الجملتين مراعاة لوحدة الموضوع.

وإذا كانت المناسبة المعنوية بين الجملتين السابقتين قد تحققت بعطف الخاص على العام[٢]، فإنها قد تكون كذلك بعطف العام على الخاص، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا)**هود:٦ فهو معطوف على قوله: **(أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ)** هود:٥ فقوله: **(يعلم ما يسرون وما يعلنون)** يخص علم الله تعالى بحال المشركين في السر والعلن، ثم تبعها بما فيه التعبير عن عموم علم الله تعالى بكل دابة في الأرض، وبيّن ابن عاشور العلاقة بين الجملتين إذ يقول: "عطف على جملة: (يعلم ما يسرون وما يعلنون) والتقدير: وما من دابة يعلم مستقرها ومستودعها، وإنما نظم الكلام على هذا الأسلوب تفننا لإفادة التنصيص على العموم بالنفي المؤكد بـ(من)، ولإدماج تعميم رزق الله كل دابة في الأرض في أثناء إفادة عموم علمه بأحوال كل دابة[٣]." وهذه العلاقة تدل على أن سياق الآيتين واحد، ومن ثم فالأولى هو ألا يفصل القارئ بينهما بالتوقف عن القراءة اتباعا لعلامة التجزئة.

ومن المناسبة المعنوية بين الجملتين المعطوفتين أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول، وشرح ذلك عبد القاهر الجرجاني حين قال: "فلو قلت: (زيد طويل القامة وعمرو شاعر) كان خَلْفا، لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وإنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب وعمرو شاعر)، و(زيد طويل القامة وعمرو قصير)[٤]." ومن الذي يكون فيه الخبر الثاني مما يجرى مجرى النقيض للخبر الأول قوله تعالى: **(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ)** هود: ١٠٦ـ ١٠٨ فالعطف هنا ربط بين جملتين بينهما تناسب معنوي؛ إذ إن الحالين متلازمان وذكر أحدهما يستدعي عند المتلقي ذكر

[١] ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٤٢٩
[٢] فـ(الوالدات) خاص عطف على عام هو (المطلقات)
[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٥/١٢
[٤] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٢٥

الآخر، وجاءت الآيتان لتفصيل ما أجمل قبلهما وهو قوله سبحانه: **(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)** هود: ١٠٥ فالاتساق بين الجمل هنا جلي، والفصل بين هذه الجملة بالتجزئة يهدر ذلك الاتساق.

وقد تقع المناسبة بين المعطوفين لكون الخبرين فيهما كالنظيرين، ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(۞وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ)** الآية، النساء: ١٢ وقد تناولت هذه الآية أحكام الميراث التي تعلقت بقرابة النسب، وهي معطوفة على قوله: **(يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ)** الآية، النساء:١١، وهي آية عالجت أحكام الميراث التي تعلقت بقرابة الدم، غير أن التماسك بين المعطوفين في هذا الموضع أقل وضوحا مما كان عليه في الموضع السابق، ويرجع ذلك إلى أن كلا من الجملتين المعطوفتين عالج جزئية تصلح أن تكون غرضا مستقلا، ومع هذا فالأولى عدم التجزئة؛ لأن ثمة موضوعا واحدا يجمع بينهما.

الجمع بين الأحداث في السرد

ومن الوظائف التي يؤديها العطف بين الجمل أنه يأتي ليضم حدث إلى حدث، ومن مجمل هذه الأحداث يتشكل مشهد متكامل، وهذه الجمل المعطوفة عندئذ تكون متسقة لدرجة كبيرة، إذ كل منهما يضيف للخبر قيمة إخبارية، فلا يكتمل إلا بمجملها، ويظهر ذلك واضحا في سرد أحداث القصص في النص القرآني، فكثيرا ما يعتمد بناء الأحداث على العطف.

وقد تأتي الجمل المعطوفة متزامنة، فتصور جملة من الأحداث التي وقعت في زمن واحد، وعندئذ يكون الاتساق بينها قويا، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ ألْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ(١١٦) ۞وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)** الأعراف: ١١٥- ١١٧ فهذه الآيات جزء من المشهد الذي تحدى فيه سحرة فرعون موسى (عليه السلام)، وأدى العطف هنا وظيفة ضم أحداث متزامنة إلى بعضها ليكتمل المشهد، ويظهر ذلك في الجملة المعطوفة في جواب شرط (فلما ألقوا)، فما ترتب على إلقائهم أمران، أحدهما تعلق بالجمهور، فقد سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا لهم بسحر عظيم. وتزامن ذلك مع أمر آخر تعلق بموسى (عليه السلام)، فقد أوحى الله إليه (أن ألق عصاك) وهو الحدث الذي سيبين به باطلهم. وشرح ابن عاشور ذلك فقال: "جملة (وأوحينا) معطوفة على جمل (سحروا أعين الناس، واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)، فهي في حيز جواب

لمّا، أي: فلما ألقوا سحروا، وأوحينا إلى موسى أن ألق لهم عصاك[١]." وفكرة التجزئة هنا قبل قوله: (وأوحينا إلى موسى) تخل بتصوير المشهد إخلالا واضحا؛ إذ لا يجب أن يفهم إلقاء موسى لعصاه وما ترتب عليه من أثر في السحرة وفيمن حضر إلا في سياق مقارنته بما فعلوه وأثره.

وقد يفيد العطف ضم حدث إلى آخر مع التعاقب الزمني، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ(٤٠) ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞرَّحِيمٞ)** هود: ٤٠ـ٤١ فقوله: (وقال اركبوا فيها) معطوف على قوله: (قلنا احمل فيها)، والعطف هنا أفاد أن نوحا (عليه السلام) امتثل لأمر ربه فقال لمن أُمِر بحملهم (اركبوا)، وفي هذا مراعاة للتعاقب الزمني للأحداث وهو أمر يقوي الصلة بين الجمل المعطوفة ويجعل الفصل بينها بالتوقف قبل علامة التجزئة غير مقبول.

وقد يأتي العطف للجمع بين الأحداث من غير أن تكون هذه الأحداث متعاقبة، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (١١) ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ)** فتحريم المراضع عليه ما جاء بعد تتبع أخته له، ودل على ذلك قوله: (من قبل) قال الألوسي: "(من قبل)، أي: من قبل قصها أو إبصارها أو وروده على من هو عنده، أو من قبل ذلك، أي من أول أمره[٢]." فمجيء خبر تحريم المراضع عليه كان تمهيدا لحدث جاء عقب قص أخته له وهو عرضها الذي قدمته حين قالت لهم: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهم له ناصحون). فالعطف هنا لم يعرض الأحداث مرتبة زمنيا، لكنه جعلها متشابكة، فكان هذا التشابك مظهرا لاتساقها، وهذا يعني أن الفصل بين تلك الأحداث بالتوقف عن التلاوة اتباعا لعلامة التجزئة قبل قوله: (وحرمنا عليه المراضع) يخل بعرض القصة وقد يكون له أثر سلبي في فهم أحداثها.

وحدة المخبر عنه

وذلك مما يقوي الصلة بين الجمل المعطوفة، قال عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا: "هو يقول ويفعل، ويضر وينفع... وأشباه ذلك، ازداد معنى الجمع في (الواو) قوة وظهورا، وكان

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤٩/٩
[٢] روح المعاني، للألوسي ٥٠/٢٠

الأمر حينئذ صريحا[١]." وجاءت علامة التجزئة لتفصل بين الجمل المعطوفة التي كان المخبر عنه فيها واحدا، فكان ذلك بمثانة فصل لأجزاء الموضوع الواحد ومن ذلك ما يأتي:

المخبر عنه	الجملة المعطوف عليها (قبل التجزئة)	الجملة المعطوفة (بعد التجزئة)
الله (عز وجل)	(قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل **لِّلَّهِ)**الأنعام:١٢	(۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)الأنعام: ١٣
(وَإِنَّ **لِلۡمُتَّقِينَ** لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ) ص:٤٩	(مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ) ص:٥١	(۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ)ص: ٥٢
(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ) الطور:٢١	(يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ) الطور:٢٣	(۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ) الطور:٢٤
(إِنَّ **ٱلۡأَبۡرَارَ** يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) الإنسان: ٥	(وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا) الإنسان: ١٧	(۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ) الإنسان: ١٨

فالمخبر عنه في الموضع الأول هو الله تعالى، وجملة **(وله ما سكن في االليل والنهار)** معطوفة على (لله)[٢]." وكون الجملتين تخبران عن واحد يعني أن الموضوع واحد ومن ثم فالتجزئة عندئذ غير صالحة، لهذا لا ينبغي للقارئ أن يتوقف عند نهاية الربع وهو قوله: **(فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)**. ونحوه ما جاء في المواضع الأخرى؛ إذ اتصل فيها الحديث عن جزاء المؤمنين عند الله تعالى، فالمخبر عنه واحد، والجمل التي أخبرت عنه بالعطف متماسكة لكونها تدور حول موضوع واحد.

ويقل التماسك بين الجمل المعطوفة إذا كان المخبر عنه واحدا لكن الموضوع تفرع وطال الفاصل، ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(۞وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ)** يونس: ٥٣ فهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى: **(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)** يونس:٤٨ فالمخبر عنه واحد وهم المشركون، والجملتان يمثلان "حكاية فن من أفانين تكذيبهم، فمرة يتظاهرون باستبطاء الوعد استخفافا به، ومرة يقبلون على الرسول في صورة المستفهم الطالب فيسألونه: أهذا العذاب الخالد، أي عذاب الآخرة، حق؟[٣]" وما كان الله تعالى ليترك لهم حجة يحتجون

[١] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٢٦
[٢] ينظر: الكشاف، للزمخشري ٢/ ٣٢٨
[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٩٥/١١

بها، فقد جاءهم الجواب الكافي بعد كل سؤال لهم[١]، ومثل هذا الجواب فاصلا بين الجمل المعطوفة. فالموضوع إذًا واحد لكنه تفرع لتكون كل جملة جزئية لها ما يتبعها من تفاصيل. وإن كان تحقيق العطف هنا للاتساق بين الجمل أقل وضوحا من المواضع السابقة فإن ذلك لا يعني استحسان الفصل بين هذه الجمل لكونها تدور في فلك موضوع واحد

ونحو ذلك ما جاء في قوله تعالى:(۞**وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّ**) النور: ٥٣ فهده الجملة هي حكاية قول المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم وهي معطوفة على حكاية أخرى لقولهم، وذلك قوله تعالى: (**وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ**) النور: ٤٧ وبين الجملتين جاءت عدة جمل بينت أحوالهم وقارنت بينها وبين حال المؤمنين، كقوله تعالى: (**إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ**) النور ٥١-٥٢ فهذا الاعتراض أوهن العلاقة بينهما، لكن اتحادهما في الإخبار عن شيء واحد جعل منهما كيانا لا ينبغي تجزئته.

وحدة المخاطب

وكذلك يقوى التماسك بين الجمل المعطوفة إذا كانت موجهة إلى مخاطب واحد، فعندئذ لا يجوز الفصل بين هذه الجمل لكونها ذات غرض واحد، وقد جاءت علامة التجزئة لتفصل بين هذه الجمل في قوله تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (١٣٠) وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٣٢)۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**) آل عمران: ١٣٠-١٣٣

ومثل ذلك في قوله: (**أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ (١٥٥)۞وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ**) الأعراف: ١٥٥-١٥٦

ففي الموضعين توالت الجمل المعطوفة المتصلة التي جاءت في صورة الطلب مع اتحاد المخاطِب والمخاطَب، ومن ثم فإن التجزئة هنا تخل بالاتساق الذي سببه العطف بين هذه الجمل.

[١] الجواب عليهم في الآيات من سورة يونس: ٤٩- ٥٢

عطف قصة على قصة

ويتخطى العطف أحيانا حدود الربط بين جملتين إلى ما يسمي بعطف قصة على قصة، ويقصد بذلك "أن يعطف جُمل مسوقة لغرض على جُمل مسوقة لغرض آخر لمناسبة بين الغرضين. فكلما كانت المناسبة أشد كان العطف أحسن[١]." وشرح ذلك عبد القاهر الجرجاني حين قال: "فأمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتَعمِدُ أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضا على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك[٢]." ومثال ذلك في كتاب الله قوله تعالى: **(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)** البقرة: ٢٥ فقد ذكر الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة أنها من هذا القبيل، قال: "فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على وصف عقاب الكافرين[٣]." وعلى الرغم من أن المعطوف مستقل عن المعطوف عليه، إذ كل منهما يدور حول فكرة مختلفة فإن العطف سوغته الجهة الجامعة بين الوصفين وهي التضاد، فالأول عقاب الكافرين، والثاني ثواب المؤمنين[٤] فالوحدتان على كل حال متماسكتان.

ويدخل تحت هذا النوع من العطف عدة أنماط منها أن تعطف أخبارا على أخبار، ويقصد بذلك أن ينتقل الكلام من الحديث عن أخبار نبي مع قومه إلى أخبار نبي آخر، وفصلت علامة التجزئة بين هذه الأخبار المعطوفة في مواضع، منها قوله تعالى: **(۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا)** الأعراف: ٦٥ والعطف هنا على قوله: **(لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ)**الأعراف: ٥٩ وذلك على "أن يقدر بعد واو العطف (أرسلنا) لدلالة حرف (إلى) عليه، مع دلالة سبق نظيره في الجملة المعطوف عليها، والتقدير: وأرسلنا إلى عاد، فتكون الواو لمجرد الجمع اللفظي من عطف القصة على القصة[٥]." وإذا نظرنا إلى السياق العام للآيات من الآية: ٥٩ وحتى نهاية السورة نرى أنها تعرضت لأخبار كثير من الأنبياء من نوح (عليه السلام) حتى محمد ﷺ ومثل ذلك ما جاء في سورة هود، فقد

---

[١] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ١١٨٩

[٢] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٢٤٥

[٣] الكشاف، للزمخشري ٢٢٨/١

[٤] لسانيات النص، محمد خطابي ١٦٩

[٥] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٠٠/٨

جاء عند رأس أحد أرباعها قوله تعالى: **(۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحا)** هود: ٦١ وهو معطوف على قوله: **(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودا)** هود: ٥٠ ثم جاء عند رأس الربع الذي يليه قوله سبحانه: **(۞وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبا)** هود: ٨٤

فذكر هذه الأخبار متوالية ليس مجرد سرد لقصص متناثرة بل هو خط ممتد يعرض صورا من الصراع بين الحق والباطل، وجاء ذكرها مجتمعة لغاية بيّنها الله تعالى حين قال جل شأنه: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْم مَّجْمُوع لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْم مَّشْهُود)** هود: ١٠٣ وإذا كان اتحاد الغاية يمثل صورة للتماسك بين هذه الأجزاء، فإن هذا لا يعارض كون تلك الأخبار قابلة للتقسيم؛ إذ يشكل كل خبر منها بنية سردية مستقلة وذلك يعني أن إفراد كل منها بالقراءة لا يؤدي إلى ذلك الخلل الدلالي الذي يكون حين يقطع التقسيم توالي الأحداث حين يكون المشهد واحدا[١].

وقد تطول أحداث القصة الواحدة فتأتي علامة التجزئة لتفصل بين مشاهدها، وكان أكثر ذلك حين سرد القرآن الكريم أحداث قصة موسى (عليه السلام)، فقد صادف بداية بعض المشاهد علامة التجزئة، ونحو ذلك قوله تعالى: **(۞وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ)** الشعراء: ٥٢ فهذا مشهد من المشاهد التي صورت أحوال موسى مع فرعون، فبعد أن انتهى من ذكر ما جرى من مواجهة السحرة، وانتهاء الأمر بإيمانهم الذي أشعل غضب فرعون شرع في سرد أحداث النهاية وفيها أهلك الله فرعون وجنوده، وكتب النجاة لموسى ومن آمن معه. ومثله في سورة يونس إذ بدأ أحد أرباعها بقوله تعالى: **(۞وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيا وَعَدْوًا)** يونس: ٩٠ فهو عطف لمشهد اجتيازهم البحر على ما قبله وهو قوله تعالى: **(وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتا)** يونس: ٨٧ وبين ابن عاشور الرابط بين المشهدين حين قال: "عطف الغرض على التمهيد، أي أمرناهما باتخاذ تلك البيوت تهيئة للسفر ومجاوزة البحر[٢]."

ونحو ذلك ما جاء في قصة يوسف (عليه السلام)، فقد جاءت علامة التجزئة لتفصل بين مشهدين وذلك عند قوله سبحانه: **(۞وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَٰل مُّبِين)** يوسف: ٣٠ فهذا المشهد الذي صور ما كان من أمر بين امرأة العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن معطوف على مشهد آخر صور ما جرى بين

---

[١] ونحو ذلك ما سبق ذكره من أنه لا يجوز التقسيم عند قوله تعالى: (وحرمنا عليه المراضع من قبل) الآية القصص: ١٢، وذلك لكونها تشكل مع ما قبلها مشهدا واحدا.

[٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٧٤/١١

يوسف وامرأة العزيز. وعلى الرغم من الصلة بين المشهدين، إذ هما يدوران حول موضوع واحد وهو الفتنة التي تعرض لها يوسف وما أسفرت عنه من دخول السجن، فقد ساغ الفصل بينهما لاختلاف المكان الذي وقعت فيه الأحداث، وكذا اختلاف الشخصيات.

وكذلك ما جاء في قصة داوود (عليه السلام)؛ إذ فصلت العلامة بين مشهدين له، وذلك عند قوله تعالى: **(۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ)** ص: ٢١ فهذه الجملة وما بعدها قصت شأنا من شئون داوود مع ربه، وهي معطوفة على آيات قبله بينت فضل الله ونعمته عليه.

ولا شك في أن هذا النمط تكون فيه العلاقة بين المعطوفين أقوى من النمط السابق الذي فيه عطف قصة نبي على نبي آخر؛ إذ تدور المشاهد هنا عن الشخص نفسه، لكن أحيانا يستدعي طول القصة تقسيمها كما هو في قصة موسى في (الأعراف، وطه، والقصص) أو قصة يوسف في سورة (يوسف)، حينئذ يكون الأفضل أن تكون ثمة علامات فاصلة بين المشاهد. أما إذا كانت المشاهد لا تستحوذ على ما يدعو للتجزئة كما هو الحال في ذكر خبر داوود في سورة (ص) فالأولى حينها أن تكون جميعا في قسم واحد.

ومن أنماطه أن يُعطف غرض على غرض، ونحو ذلك قوله تعالى: **(۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا)** الإسراء: ٢٣ قال ابن عاشور: "عطف على الكلام السابق عطف غرض على غرض تخلصا إلى أعمدة من شريعة الإسلام بمناسبة الفذلكة المتقدمة تنبيها على أن إصلاح الأعمال متفرع على نبذ الشرك[١]." ونحوه قوله تعالى: **(۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ)** النحل: ٥١ فقد أشبع القول قبل هذه الآية في إبطال تعدد الآلهة، ثم نقل الكلام لإبطال نوع آخر من الشرك هو الإيمان بإلهين كما كان عند المجوس الذين آمنوا بإله للخير وآخر للشر. وحدد ابن عاشور علاقة هذه الآية بما قبلها فقال: هي عطف قصة على قصة، وهي مرتبطة بجملة: **(وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ)** النحل: ٣٦[٢]. فانتقال الكلام من غرض إلى غرض سوغ الفصل بين الغرضين بعلامة التجزئة وإن كان ذلك لا ينفي الصلة القوية التي تربط بينهما في السياق الواحد.

---

[١] المصدر نفسه ٦٥/١٥

[٢] ينظر: المصدر نفسه ١٧٢/١٤

ويدخل في هذا النمط استمرار النص في غرض ما، وقد يطول هذا الغرض فتكون له جزئياته التي تتميز بداياتها بتشابه صورتها التركيبية، ونحو ذلك خطاب الجدل والتشكيك الذي جاء على لسان الكفار في سورة الفرقان، فآياتها نقلت لنا صورا من ادعاءاتهم التي استندوا إليها لتكذيب النبي ﷺ، وجاء ذلك على صورة وحدات متتابعة اتسمت باتساق صورتها التركيبية فضلا عن اتساقها الدلالي؛ إذ جاءت كلها مبدوءة بفعل القول، ومنها:

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ) الفرقان: ٤

(وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا) الفرقان: ٥

(وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ) الفرقان: ٧

(۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ) الفرقان: ٢١

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ) الفرقان: ٣٢

ومثّل كل ادعاء منها وما أعقبه من رد من الله تعالى وحدة ارتبطت مع غيرها من خلال العطف، غير أن هذه الوحدات جميعها في النهاية مثلت موضوعا واحدا يمكن وصفه بأن خطاب حجاجي متصل، ومن ثم فالأولى ألا يقطع القارئ هذا الاتصال باتباعه علامة التجزئة الفاصلة بين أجزائه.

وقد يطول المقال فيتحتم التقسيم، عندئذ يكون وجود العلامة الفاصلة بين هذه الوحدات أخف ضررا من وضعها في أثنائها، ونحو ذلك نراه ظاهرا في حديثه عز وجل لبني إسرائيل في سورة البقرة يذكرهم بنعمه ويحذرهم من عقابه، قال جل شأنه: **(يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)** البقرة: ٤٧ فهو هنا يصرح بالفعل (اذكروا) في خطابه لهم، ثم نراه يضمره قبل (إذ) في جمل كثيرة معطوفة على هذه الآية، فمن ذلك: **(وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ)** البقرة: ٤٩

(وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا) البقرة: ٥٨

(وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ) البقرة: ٦١

(وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ) البقرة: ٧٢

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ) البقرة: ٨٤

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا) البقرة: ٩٣

فـ(إذ) في المواضع السابقة في موضع نصب بإضمار فعل تقديره (اذكروا)[١]، وهي معطوفة على معمول (اذكروا) في الآية الأولى[٢]، كأنه قال: (اذكروا نعمتي) وتفضيلي إياكم ووقت تنجيتي ووقت قولنا ادخلوا هذه القرية، ووقت قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد...إلخ

إن الاتساق الدلالي والتركيبي بين هذه الوحدات ظاهر للعيان، وهو ما يلزم معه ألا يكون ثمة تقسيم لها، بيد أن امتدادها على نحو ما نرى في صفحات المصحف الشريف يحتم التقسيم. ووجود علامة التجزئة للفصل بين هذه الوحدات كما هو كائن قبل قوله تعالى: **(وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ)**البقرة: ٦٠ يبدو أكثر مقبولية من وجودها في أثنائها كما كان قبل قوله تعالى: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ)** البقرة: ٧٥ وقوله: **(وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ)** البقرة: ٩٢

أما إذا كانت الوحدات قصيرة ويمكن جمعها في قسم واحد فالواجب عدم التقسيم، لكن علامات التجزئة فصلت بينها مع القِصر، ونحو ذلك ما جاء في سورة الفرقان من ذكر لآيات قدرة الله تعالى، وذلك قوله: **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسا وَالنَّوْمَ سُبَاتا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورا)** الفرقان: ٤٧

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) الفرقان: ٤٨

(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) الفرقان: ٥٣

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) الفرقان: ٥٤

فالناظر لهذه الآيات يجد أن الاتساق الدلالي بينها قد صاحبه اتساق تركيبي، فجميعها يبدأ بـ(وهو الذي) وهذا مما يؤكد مبدأ التماسك بينها، ومن ثم فالفصل بينها بالتوقف عند أحدها أو البدأ بأخرى كما هو كائن بوجود علامة التجزئة قبل قوله: **(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ)** غير مبرر؛ إذ إنها في حيز كمي لا يستوجب التقسيم.

---

[١] ذهب إلى هذا الإعراب مكي بن أبي طالب، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٤/١، وحالفه أبو حيان، إذ رأى أن (إذ) من الظروف التي لا يتصرف فيها، واختار أن ينتصب على الظرف ويكون العامل فيه محذوفا يدل عليه ما قبله، فمثلا في قول تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون) البقرة: ٤٩ يكون التقدير على قوله: وأنعمنا عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون. ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٣٥٠/١

[٢] ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٣٥٠/١

ثالثا الربط بغير أداة عطف "علاقات التلازم"

وليست أدوات العطف هي السبيل الوحيد للربط بين أجزاء الكلام، لكن ثمة علاقات أخرى يمكن أن يتحقق بها ذلك. ويأتي في مقدمة تلك العلاقات علاقة الإسناد، وهي علاقة معنوية يستطيع المعرب حال إدراكها أن يحدد ركنيها[١] مستعينا على ذلك بمجموعة من القرائن المتاحة كالعلامة الإعرابية، والترتيب، والمطابقة وغيرها[٢]. والعلاقة بين هذين الركنين علاقة تلازم، فهما عند بعض اللغويين كالجزء الواحد[٣]. لذا فإن من قواعد الوقف والابتداء في القرآن الكريم ألا يجوز الوقف على المبتدأ دون خبره ولا الفعل دون فاعله[٤]. ومن ثَمَّ فإن من عدّ قوله تعالى: **(۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحا)** الشورى: ١٣ خبرا بعد خبر لـ(ذلكم) في قوله تعالى: **(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)** الشورى: ١٠ فلا يجوز له مطلقا أن يتبع علامة التجزئة الواقعة قبل (شرع لكم) فيقطع تلاوته دون استيفاء الكلام لأجزائه. ومن جعله كلاما مستأنفا مسوقا للشروع في تفصيل ما أجمله أولًا فالأولى به في هذه الحالة عدم القطع لأن المحال إليه الكلام قبل العلامة وبعدها واحد وهو الله تعالى، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن السياق متصل.

وتشبه الصلة بين النعت والمنعوت تلك التي بين المبتدأ الخبر، وبيَّن ذلك الأنباري إذ يقول: "خبر المبتدأ يتنزل منزلة الوَصْفِ، ألا ترى أن الخبر هو المبتدأ في المعنى... فلما كان الخبر هو المبتدأ في المعنى، أو منزّلًا منزلته تنزل منزلة الوصف؛ لأن الوصف في المعنى هو الموصوف. ألا ترى أنك إذا قلت "قام زيدٌ العاقلُ، وذهب عمروٌ الظريفُ" أن العاقل في المعنى هو زيد، والظريف في المعنى هو عمرو؟ ولهذا لما تنزل الخبر منزلة الوصف كان تابعًا للمبتدأ في الرفع؛ كما تتبع الصفة الموصوف[٥]."لذلك فلا يجوز القطع عند علامة الربع قبل قوله تعالى: **(۞لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ)** الأنعام: ١٢٧ وذلك عند من يعد هذه الجملة نعتا لـ(قوم) في قوله تعالى: **(قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)** الأنعام: ١٢٦ وكذلك لا يجوز الفصل إن عُدَّ ذلك استئنافا لكون الهاء في (لهم) ضمير يربط هذه الآية بما قبلها، فالاتساق قائم على كل حال.

---

[١] يقصد بذلك: المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، أو الفعل ونائب الفاعل.

[٢] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان ١٩١ وما بعدها

[٣] ينظر: الخصائص، لابن جني ٩٥/١

[٤] ينظر: إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري ١١٦/١ وما بعدها .

[٥] الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري ٤٧/١

ومن تلك العلاقات علاقة الحال بصاحبها، وهي أيضا تشبه العلاقة بين المبتدأ والخبر، فالحال تدل على هيئة صاحبها[١]، كما أن الخبر يدل على حال المبتدأ، وذكر ذلك الجامي؛ حيث رأى أن "المبتدأ ذات، والخبر حال من أحوالها[٢]." وفطن السيوطي إلى ذلك الشبه إذ يقول: "ولما كانت الحال خبرا في المعنى، وصاحبها مخبرًا عنه أشبه المبتدأ[٣]." وجاءت علامة التجزئة لتفصل بين الحال وصاحبها في قوله تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۝مُنِيبِينَ إِلَيْهِ)** الروم: ٣٠ـ ٣١ فقوله (منيبين) جاء عند رأس الربع، وهو "حال من الضمير في (فأقم)، وإنما جمع لأنه مردود على المعنى؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، وهو خطاب لأمته، فتقديره: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه. وقال الفراء: التقدير: فأقم وجهك ومن معك، فلذلك قال: (منيبين)[٤] فاتباع القارئ لعلامة التجزئة وتوقفه عن القراءة بعد أن ذكر العامل في الحال وصاحبها دون أن يتم الكلام بذكر الحال فيه إخلال واضح بالمعنى، وكذلك حين يبدأ قراءته بالحال دون أن يكون ذلك موصولا بذكر صاحبها والعامل فيها.

ومن العلاقات التي تستوجب التلازم علاقة الظرف بعامله؛ إذ إن وظيفة الظرف هي تخصيص زمان الحدث الذي يحمله عامله أو مكانه، ومن ثم فإن ذكر الظرف دون العامل الذي يتعلق به هو أمر يسوق إلى الإبهام، ومن الآيات التي جاء فيها الظرف في بداية الربع، ففصل بذلك بينه وبين عامله قوله تعالى: **(۝إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ)** آل عمران: ١٥٣ ويحسن تعلق (إذ) هنا بما قبلها، وهو قوله تعالى: **(ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)** آل عمران ١٥٢ قال أبو حيان: وتعقله بـ(صرفكم) جيد من حيث المعنى، وبـ(عفا عنكم) جيد من حيث القرب[٥]." ورجح الزمخشري تعلقه بـ(صرفكم)[٦] ووضح ابن عاشور المعنى المترتب على هذا حين قال: "(إذ تصعدون) متعلق بقوله: (ثم صرفكم عنهم) أي دفعكم عن المشركين حين أنتم مصعدون[٧]."ورجح ابن عطية تعلقها بـ(عفا)[٨]. فيكون المعنى أنه عفا

---

[١] وعرّف ابن مالك الحال بقوله:" ومادلّ على هيئة وصاحبها، متضمنًا ما في معنى (في) غير تابع ولا عمدة، وحقه النصب، وقد يجر بباء زائدة." شرح التسهيل، لابن مالك ٢٣٩/٢

[٢] الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، للجامي٢٧٩/١

[٣] همع الهوامع، للسيوطي ٢٤٠/١

[٤] مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب ١٧٨/٢ـ١٧٩ وينظر: معاني القرآن، للفراء ٣٢٥/٢

[٥] البحر المحيط، لأبي حيان ٨٩/٣

[٦] ينظر الكشاف، للزمخشري ٦٤١/١

[٧] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٣١/٤

[٨] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٣٧٠

عنكم حين أنتم مصعدون. ولا سبيل إلى هذا الفهم أو ذاك إن فصل بين الظرف وعامله بعلامة التجزئة فتوقف القارئ عن التلاوة عند العامل ثم استأنفها بعد ذلك بذكر الظرف. أما من رجح أن تكون (إذ) منصوبة بفعل تقديره (اذكر) فهو قول مقبول؛ لأن ما قبل (إذ) جمل مستقلة يحسن السكوت عليها، لكن ذلك أيضا لا يعني جواز الفصل بينهما بالتوقف عن القراءة؛ "حيث إن السياق كله في قصة واحدة[١]."

رابعا: الاتساق بالحذف

كثيرا ما يرتبط الحذف بالتقدير؛ إذ يلازم الحذف تقدير ذلك المحذوف. ولهذين المصطلحين علاقة مباشرة بالاتساق النصي؛ حيث إن تقدير المحذوف غالبا ما يكون مبنيا على سياق النص المتقدم قبل موضع الحذف، لذا عدّ النصيون "الحذف" من وسائل الاتساق[٢]. ومما يترتب على ذلك أن التركيب اللغوي الذي ينطوي على حذف يفسره ما سبقه لا ينبغي أن يكون موضع استئناف بعد قطع، أي أنه من دواعي فهم ذاك المحذوف أن يتصل بما سبقه إن كان فيه إظهار للمقصود.

ومن ذلك أن يكون المحذوف بعد "الفاء الفصيحة" وهي الفاء التي تفصح عن محذوف في الكلام قبلها يكون سببا للمذكور بعدها[٣]. ونحوها في قوله تعالى: **(۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ)** الصافات: ١٤٥ فالفاء هنا فصيحة، فهي تفصح عن كلام مقدر دل عليه ما قبلها، وهو قوله: **(فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** الصافات: ١٤٣-١٤٤ والتقدير: "يسبح ربه في بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له ونجاه[٤]." الفاء هنا دلت على محذوف وهو (استجابة الدعاء) وذلك سبب نجاته الظاهر من قوله: **(فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ)**. فالعامل الرئيس في فهم بنية الكلام العميقة هذه هو إدراك ذاك المحذوف وتقديره، ولا سبيل للوصول إلى ذلك إلا من خلال السياق المتصل. وإنْ اتبع القارئ علامات التجزئة في المصحف فقطع قراءته عند قوله: **(إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** أو ابتدأها مع بداية الربع عند قوله: **(فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ)** فلن يدرك هذا الحذف ولا ذاك التقدير وهما من لوازم فهم النص.

---

[١] البحر المحيط، لأبي حيان ٨٩/٣

[٢] لسانيات النص، محمد خطابي ٢١

[٣] قال أبو البقاء الكفوي: "شرط الفاء الفصيحة أن يكون المحذوف سببا للمذكور" الكليات ص١٠٤٩

[٤] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٧٧/٢٣

ومن ذلك الحذف الذي لا يدرك تقديره إلا باتصال أول الكلام بآخره ما جاء في قوله تعالى: **(۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ)** آل عمران: ٥٢ ففي هذه الآية حذف يفسره سياق الآيات قبلها، من قوله: **(قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ)** آل عمران: ٤٧ إلى قوله: **(إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ)** آل عمران:٥١ وذكر أبو حيان هذا المحذوف وبين صلته بما قبله حين قال إن في قوله: (فلما أحس) حذفا، وتقدير الكلام: "فجاء عيسى بني إسرائيل رسولا، فقال لهم ما تقدم ذكره، وأتى بالخوارق التي قالها فكفروا به وتمالؤوا على قتله وإذايته[١]." فالآيات التي سبقت قوله: **(فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ)** فيها أنه عليه السلام وُلِد، وكلم الناس في المهد بما أخبرت به الملائكة مريم، وكلم الناس بالرسالة، وأراهم الآيات الموعود بها، ودعاهم إلى التصديق به وطاعته. ثم أنه أحس منهم الكفر، وهذا يستدعي أحد تقديرين "أحدهما: أنه يجري اللفظ على ظاهره، وهو أنهم تكلموا بالكفر، فأحس ذلك بأُذُنه. والثاني: أن نحمله على التأويل، وهو أن المراد أنه عرف منهم إصرارهم على الكفر، وعزمهم على قتله، ولما كان ذلك العلم علما لا شبهة فيه، مثل العلم الحاصل من الحواس لا جرم عبر عن ذلك العلم بالإحساس[٢]. وسواء أكان هذا الإحساس مبنيا على نطقهم بكلمة الكفر أو فعلهم الذي يفهم منه ذلك فهو نتيجة بنيت على مقدمات مشروحة في الآيات السابقة، ومن ثم فلا سبيل لفهم ذلك التقدير إلا بالنظر إلى الآيات متصلة. أما أن يقف القارئ عند المقدمات دون نتيجتها، أو يبدأ بالنتيجة دون مقدماتها فهذا مما لا يقود إلى الفهم السديد.

[١] البحر المحيط، لأبي حيان ٤٨٧/٢
[٢] تفسير الرازي ٦٧/٨

المبحث الثالث

علامات التجزئة في ضوء الاتساق المعجمي للآيات

أولا: التكرير

وهو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما[١]." ولتحقق الألفاظ المكررة الاتساق النصي ينبغي أن يكون مرجعها واحد، وهذا يعني أن العنصر الثاني يحيل إلى الأول، ومن ثم فاستخدام اللفظ المكرر في السياق الدلالي ذاته يعني أنه يدور في دائرة واحدة، فهو رد للآخِر على الأول، ولذلك عدّه بعض اللسانيون من أنماط الإحالة[٢].

وليس الاتساق النصي الحاصل من تكرار العنصر المعجمي على درجة واحدة؛ إذ إن ثمة صورا يكون فيها التكرار عامل ربط قوي يجعل التركيبين المتضمنين لهذا العنصر كالنسيج الواحد، في حين يكون الربط الحاصل به في صور أخرى أقل قوة. ومما جاء على النحو الأول قوله تعالى: **(۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّام مَّعۡدُودَٰت)** البقرة: ٢٠٣ فالفعل (اذكروا) هنا مكرر؛ إذ جاء بعد قوله تعالى: **(فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا)** البقرة: ٢٠١ إن الوظيفة التي ذكرها بعض المفسرين للتكرير هنا تجعل التركيبين ـ مع طول الفاصل بينهما ـ مرتبطين أشد الارتباط؛ إذ رأى ابن عاشور أن "إعادة فعل (اذكروا) ليبنى عليه تعليق المجرور، أي قوله: **(فِيٓ أَيَّام مَّعۡدُودَٰت)** لبعد متعلقه، وهو **(فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ)**، لأنه أريد تقييده بزمانه ومكانه. فالذكر الثاني هو نفس الذكر الأول، وعطفه عليه منظور فيه إلى المغايرة بما علق به من زمانه[٣]." وبناء على ذلك فإن الرابط الدلالي بين التركيبين واضح، والفصل بينهما بالتوقف عن التلاوة ـ التزاما بجعل علامة التجزئة مجيزة للقطع ـ هو وسيلة تسوق إلى الإخلال بوضوح المعنى.

ومثل ذلك مجيء علامة الربع قبل قوله تعالى: **(۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَة مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)** آل عمران: ١٧١ فالفعل (يستبشرون) مكرر؛ إذ جاء من قبل في قوله تعالى: **(وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ**

---

[١] لسانيات النص، محمد خطابي ٢٤

[٢] قال الدكتور سعيد بحيري: "وتشتمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكراريةEpanaphora " دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد بحيري ص ١٠٤، وينظر أيضا: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد ص ٧٩

[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢/ ٢٦١

يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) آل عمران: ١٧٠ واختلف المفسرون في العلة من هذا التكرير، فقد ذهب بعضهم إلى أن ذلك على سبيل التوكيد وذلك إن كان قوله: (بنعمة من الله وفضل) بيان لمتعلق الاستبشار الأول، وهو ما ذكره الزمخشري حين قال: "وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله: **(أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** من ذكر النعمة والفضل[١]. ومنهم من ذهب إلى أن "قوله: (يستبشرون) ليس بتأكيد للأول، بل هو استئناف متعلق بهم أنفسهم لا بالذين لم يلحقوا بهم، فقد اختلف متعلق الفعلين فلا تأكيد، لأن هذا المستبشر به هو لهم، وهو نعمة الله عليهم وفضله[٢]." وسواء أكان التكرير للتوكيد أو للاستئناف فإن الاتساق بين الآيتين واضح، والفصل بينهما بتوقف التلاوة بعد الأول دون الآخر لا يؤدي إلى اكتمال المعنى. غير أن هذا الاتساق يبدو أظهر عند من أخذ بالتفسير الأول؛ إذ يكون اللفظ الثاني هو نفس الأول في المعنى، ومن ثم فإن ما تعلق بالثاني، وهو قوله: (بنعمة من الله وفضل) متعلق كذلك بالأول، وهذا يعني أن التركيبين نسيج واحد.

وتقل فاعلية التكرير كوسيلة للاتساق النصي إذا جاء العنصر المكرر في صدر وحداتٍ ذات أفكار مختلفة. ومن ذلك أن تتكرر إحدى الصيغ الدالة على الطلب، فهو في كل مرة يتكرر فيها يحمل مع صورة الخطاب فكرة مستقلة، ويتجلى الاتساق في أن الصيغة المكررة تنبئ عن استمرار لطرفي الخطاب، فالمخاطِب واحد والمتلقي للخطاب واحد.

ونحو ذلك تكرير النداء (يا بني آدم) في سورة الأعراف، قال تعالى:

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف: ٢٦

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا)الأعراف: ٢٧

(۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) الأعراف: ٣١

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) الأعراف: ٣٥

---

[١] الكشاف، الزمخشري ٦٥٩/١

[٢] البحر المحيط، لأبي حيان ١٢١/٣

فإعادة صيغة النداء عند رأس كل آية هو إشعار بالاستمرارية التي تظهر التماسك بين تلكم الأجزاء، وذلك جدير بأن نقرر معه أن السياق يجب أن يبقى متصلا عند التلاوة فلا ينبغي أن يقطع القارئ تلاوته عند رأس الربع. لكن ما يجعلنا نرى أن هذا النمط أقل فاعلية في تحقيق الاتساق النصي من النمط الأول هو أن التماسك هنا بعيد عن الربط المباشر بين التراكيب؛ إذ هو استمرار لنمط معنوي بحضور لفظي.

وجاءت علامة التجزئة لتقطع كلاما تكررت فيه صيغة النداء أيضا، وذلك في نداء مؤمن آل فرعون لقومه في سورة غافر؛ إذ تكرر قوله (ياقوم) ست مرات[١]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الخطاب متصل وأن تجزئته تخل بتصور القارئ للموقف.

هذا وقد تكررت كثير من صور الطلب في النص القرآني ونحو ذلك الأمر بـ(قل) الذي تكرر في سورة سبأ من قوله تعالى: **(قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ)** سبأ: ٢٢ إلى قوله: **(قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي)** سبأ: ٥٠، قال ابن عاشور: "وافتتح الكلام بأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يقول لهم ما هو متتابع في بقية هذه الآيات المتتابعة بكلمة (قل) فأمر بالقول تجديدا لمعنى التبليغ الذي هو مهمة كل القرآن[٢]." وتلك الاستمرارية وسيلة تثبت اتصال الكلام وتماسكه لكن هذا التماسك يقوى أو يضعف حسب درجة الصلة بين الأفكار التي تتضمنها الآيات، فإن كان ثمة انتقال من فكرة لأخرى فذلك مما ينبئ بأن التماسك بينهما وإن كان واقعا فهو بدرجة أقل، ونحو ذلك في قوله تعالى: **(۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ)** سبأ: ٤٦ فالناظر في هذه الآية وما بعدها يجد أنها مثلت "استئناف للانتقال من حكاية أحوال كفر المشركين وما تخلل ذلك من النقض والاستدلال والتسلية والتهديد ووصف صدودهم ومكابرتهم إلى دعوتهم للإنصاف في النظر والتأمل في الحقائق ليتضح لهم خطؤهم فيما ارتكبوه من العسف في تلقي دعوة الإسلام وما ألصقوا به وبالداعي إليه، وأرشدوا إلى كيفية النظر في شأنهم، والاختلاء بأنفسهم لمحاسبتها على سلوكها، استقصاء لهم في الحجة، وإعذارا لهم في المجادلة[٣]." وهذا الانتقال الموضوعي هو صورة لدرجة أقل من درجات التماسك بين

---

[١] ينظر: سورة غافر: الآيات ٢٩ـ ٣٠ـ ٣٢ـ ٣٨ـ ٣٩ـ ٤١ وجاءت علامة الربع قبل قوله: (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) غافر: ٤١

[٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨٥/٢٢

[٣] المصدر نفسه ٢٣١/٢٢

الآيات وهو ما يسمح بأن يقطع القارئ قراءته قبلها ـ إن أراد ذلك ـ متبعا لعلامة التجزئة. وإن كان الأولى أن يكمل السورة إلى آخرها.

وقد يكون ذلك العنصر المكرر في صورة الخبر لا الطلب، ونحو ذلك من جاء من تكرير اسم الجلالة (الله) عند رأس عدد من الآيات التي تجلت فيها قدرته سبحانه، قال عز وجل:

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ الروم: ٤٠

(ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابا) الروم: ٤٨

(۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّة) الروم: ٥٤

فالتكرير هنا لاسم الجلالة شكّل صورة للاتساق، وساعد على ذلك أن تلك الجمل جميعها جمعتها فكرة واحدة هي "الاستدلال على عظيم القدرة في مختلف المصنوعات من العوالم[١]." وذلك مما يدعو القارئ إلى عدم الفصل بين هذه الجمل التي اتسقت في صورتها ومعناها.

ثانيا: التضاد

وهو من العلاقات التي تندرج تحت ما أسماه اللسانيون المصاحبة اللغوية، أو التضام[٢]. وليس المقصود هنا هو علاقة التضاد التي تكون بين لفظين في حدود جملة، مثل ما جاء في قوله تعالى: **(وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا)** النجم ٤٣ـ ٤٤ أو تلك التي تكون في نطاق جملتين متتابعتين كما هو في قوله: **(تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ)** آل عمران: ٢٦ لكن المقصود ما يتجاوز حدود الجملة إلى رحاب النص، كأن يكون بين كلمتين تنتمي إحداهما إلى مقطع أو فقرة من النص، وتنتمي الثانية إلى مقطع أو فقرة أخرى. ومثل هذا الطباق الرابط بين طرفيه يغدو مؤشرا سطحيا إلى وجود ترابط بين هاتين الفقرتين أو المقطعين[٣]. وأتت علامة التجزئة في كثير من المواضع في المصحف الشريف لتفصل بين المتضادين من هذا النمط الأخير، فكان التوقف عن التلاوة اتباعا لهذه العلامات إهدرا للتماسك الكائن بين أجزاء النص حال تواصلها.

---

[١] المصدر نفسه ١٢٧/٢١

[٢] وليتضح دور التضاد في تحقيق الاتساق المعجمي قدم هاليدي ورقية حسن المثال التالي: لماذا يتلوى هذا الولد الصغير طوال الوقت؟ البنات لا تتلوى. فالذي جعل هاتين الجملتين تبدوان متسقتين هو وجود علاقة معجمية بين لفظتي (الولد) و(البنت)، هذه العلاقة هي التضاد ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد ص ١٠٧

[٣] ينظر: المرجع نفسه ص١١١

ومن ذلك: ما جاء من مقارنة صريحة بين (الذين يدعون من دون الله) و(الذين اتقوا) في سورة النحل، وقد شارك التضاد مشاركة فاعلة في إبراز الفوارق بين الفريقين، فهؤلاء الكفار قال الله عنهم: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ)** النحل:٢٤ وقابله بقوله عن الفريق الآخر: **(۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا)** النحل: ٣٠ وأتبع تلك المقارنة بين اعتقاد الفريقين في حياتهم مقارنة أخرى بيّنت عاقبة أمرهما عند الموت، أما الكفار فقد وصف الله حالهم حينئذ بقوله: **(ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)** النحل: ٢٨ ـ ٢٩ وأما عن المؤمنين فقال: **(ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** النحل:٣٢

وظهر الاتساق بين أجزاء النص في المقارنة السابقة على المستويين الشكلي والدلالي، أما الاتساق الشكلي فيتجلى في التشابه بين القوالب التركيبية الذي صاحبه تكرار لكثير من العناصر المعجمية[١]، ثم يأتي الاختلاف المعجمي المتمثل في استخدام اللفظ المضاد للموصوفين[٢] وما اعتقده كل منهما[٣]، ثم ما آل إليه مصيرهما عند الوفاة[٤] ليحقق الاتساق الدلالي الذي يكتمل به السياق. ولا شك في أن هذا الاتساق المتحقق هنا يهدره أن يقسم القارئ النص فيتوقف عن القراءة عند علامة الربع التي تفصل بين الحديث عن الفريقين[٥].

ولم تكن الصلة بين أجزاء النص لتتضح بسهولة في المثال السابق وما يشاكله؛ إذ جاء المتضادان في فقرتين متباعدتين، لكنها تكون أوضح إذا ما كانا في آيتين متواليتين، ونحو ذلك نراه في قوله تعالى: **(يا نِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)** الأحزاب: ٣٠ـ٣١

---

[١] ففي الصورة الأولى جاء التركيبان على هذا النحو: (الفعل المبني للمفعول + الجار والمجرور المتعلق به + جملة مقول القول في صورة الاستفهام + الجواب على القول بجملة مكونة من الفعل والفاعل (قالوا) والمفعول به اسم ظاهر). وفي الصورة الأخرى: جاء المبتدأ على الصورة نفسها (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) يقابله: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) وصاحب هذا التشابه التركيبي تكرار بعض العناصر المعجمية نحو: (قيل ـ اتقوا ـ ماذا أنزل ربكم ـ قالوا) ، (الذين تتوفاهم الملائكة)

[٢] ويقصد بالموصوفين: الضمير في (لهم) العائد على (الذين لا يؤمنون بالآخرة) ويقابله: (الذين اتقوا). ثم (ظالمي أنفسهم) مقابل (طيبين).

[٣] ويقصد بما اعتقدوه: قول الذين لا يؤمنون بالآخرة: (أساطير الأولين) ويقابله ما قاله الذين اتقوا: (قالوا خيرا)

[٤] أما مصير الكفار فبينه قوله تعالى: (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) وقابله قوله للمؤمنين: (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)

[٥] يبدأ الربع عند قوله تعالى: **(۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا)** النحل: ٣٠

إن وحدة المخاطب في الآيتين مؤشر قوي على تماسكهما، ويزيد ذلك قوة نمط المقارنة بين حالتين متضادتين للمخاطبات هما **(مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا)**، وأعقب كلَ حالة منهما جزاؤها من الوعيد أو الوعد، وهذا من قبيل التضاد أيضا. ومن أبرز السمات التي تميز بها بها الخطاب القرآني أنه يعقب الوعيد بالوعد، فكأني بمن يسمع قوله تعالى: **(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ)** ـ حتى إن لم يكن حافظا للآيات ـ في انتظار جملة شرطية أخرى فيها الوعد لمن يقنت لله ورسوله منهن وتعمل صالحا. إذن فالتضاد هنا وسيلة أسهمت في تحقيق الاتساق النصي، ومجيء علامة التجزئة في موضع يفصل بين هذين المتضادين فيه إهدار لهذا الاتساق إن جعلها القارئ ـ كما هو سائد ـ علامة تؤذن بالقطع قبلها والابتداء بعدها.

وقد يكون التضاد من لوازم استكمال مشهد ما، وهو عندئذ وسيلة سبك له، ونرى ذلك حين نقرأ قوله تعالى: **(وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ(٤٦) ۞وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)** الأعراف: ٤٦ ـ٤٧ فالآيتان يصوران مشهدا شارك التضاد في استكماله؛ فقد ذكر القرطبي في تفسيره أن رجال الأعراف "فرغوا من شغل أنفسهم، وتفرغوا لمطالعة حال الناس، فإذا رأوا أصحاب النار تعوذوا بالله أن يردوا إلى النار، فإن في قدرة الله كل شيء، وخلاف المعلوم مقدور. فإذا رأوا أهل الجنة وهم لم يدخلوها بعد يرجون لهم دخولها[1]." وفي ضوء هذا الفهم يتضح أن للتضاد هنا دورا بارزا في اكتمال المشهد، وأن استرشاد القارئ بعلامة التجزئة لقطع قراءته عند قوله: **(لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)** يحول دون استيفاء الفكرة، وذلك ما لا يتحقق معه الغاية المطلوبة من التلاوة، ألا وهي التدبر.

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/٢١١-٢١٢

خاتمة البحث

١ـ القرآن من أوله إلى آخره متماسك من حيث المقصد، فكل ما فيه من سور وآيات، بل من جمل وكلمات تدور حول غاية واحدة هي (الهداية). وأما من ينظر إليه من جهة بنائه الموضوعي، فسيرى اختلاف موضوعاته باختلاف الوقائع والأحداث التي نزل من أجلها، ولا ينفي ذلك أن يكون ثمة رابط يطوق هذه الموضوعات ويشد بعضها إلى بعض لتكون كل سورة من سوره كيانا متماسكا.

٢ـ قام التقسيم الموجود في مصاحفنا اليوم على مراعاة الجانب الكمي المعتمد على عدّ الحروف والكلمات، وكان له فوائد منها: أن يحدد القراء أورادَهم اليومية، وكذلك فقد اعتمدوه وسيلة للحفظ، وأفاد منه من أراد تقسيم المقروء إلى مقادير متشابهة في صلاة التراويح. لكنه لم يسلم من المآخذ الواضحة، منها: أن التقارب في عدد الحروف أو الكلمات لم يكن إلا بين الأجزاء أما الأحزاب والأرباع فالتفاوت في عددها كائن بينها لدرجة وصلت إلى أن نرى ربعا ضعف ربع آخر، وكذلك فإن هذه الطريقة تخالف ما كان عليه تقيسم النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته، فقد كانوا يقسمونه بالسور، وكذلك فإنه يؤدي إلى المساس بتماسك الآيات في كثير من المواضع، وفي ذلك إخلال بمقتضيات التدبر.

٣ـ وافق التغير الصوتي المتمثل في تحول الفاصلة والذي يلازمه تغير في النسق الدلالي علامة التجزئة في بعض المواضع، وهذه المواضع يجوز الفصل بينها بهذه العلامة.

٤ـ يتحقق الأثر المرجو من توالي كلمات الفواصل المتوازية بالوقف على كل منها على حدة، وذلك يعني ألا توصل بما بعدها حتى إن كان ثمة علة نحوية ترجح ذلك، وكذلك فلا يفصل بينها بالتوقف عن التلاوة اتباعا لعلامة التجزئة. أما الفواصل المتوازية غير المتوالية فهي وسيلة تربط بين أجزاء النص لكن بدرجة أقل وضوحا.

٥ـ لا يحمل تكرار كلمة الفاصلة قيمة جمالية فحسب، بل كان له في بعض مواضعه غايات ذات علاقة بربط أجزاء النص وتحقيق تماسكه، فمن ذلك أن يكون المقصود من التكرار دلالة اللفظ على المعنى مرددا، وهذا الترديد للمعنى الذي يحمله العنصر المعجمي ذاته في موضع الفاصلة يعد عاملا من العوامل التي تجسد الاستمرارية في النص؛ إذ يكون هذا العنصر معبرا عن الفكرة السائدة. ومن ثم فإن وضع علامة التجزئة بين الفواصل المكررة من شأنه أن

يقطع الاتساق. وقد يكون التكرار للمقارنة، فالكلمة تتكرر فتكون من عوامل سبك النص لا لكون اللفظين المكررين يدلان على الشيء نفسه، بل لأن أحدهما يدل على معنى يقابل الآخر، فحينئذ لا ينبغي قطع القراءة على أحدهما دون الآخر.

٦ـ جاءت علامة التجزئة لتفصل بين عناصر الإحالة والمحال إليهم، ومن ثم كان البدء بالضمير دون ذكر مرجعه مؤديا للغموض؛ حيث إن ضمائر الغيبة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وكذلك فإن التوقف عن القراءة على المرجع دون الضمير بعده يؤدي إلى دلالة لم تكتمل. ويقل غموض الضمير في بعض التعبيرات التي تكررت في النص القرآني، فضمير الغيبة يشير في كل موضع ذكرت فيها إلى الشيء نفسه، وكذلك بعض التعبيرات التي يكون عدم العلم بما يعود عليه ضمير الغيبة فيها مما لا يضر بالفهم، ومثل ذلك الآيات التي تبدأ بـ(يسألونك). فإن عناية القارئ فيها موجهة إلى ما تتضمنه الآيات من أسئلة وأجوبة، أما من هو السائل فأمر فرعي. وقد يتضح ما يشير إليه الضمير ـ بعد علامة التجزئة ـ من سياق الآية بعده، فعندئذ لا نقول بأن القطع يؤدي إلى غموض معنى الضمير، أو أن تنص الآية بعده على المقصود منه.

٧ـ وقد تكون الإحالة ممتدة؛ حيث إن العنصر المحال إليه هو محور الفكرة الرئيس والكلام عنه متصل بلا اعتراض، ومن ثم فإن الآيات تمثل لحمة واحدة غير قابلة للتفكك، عندئذ يكون وضع علامة للتجزئة تستخدم لقطع جزء منها بحيث ينتهي القارئ من التلاوة عنده ثم يبدأ بعد ذلك بجزء آخر أمرا يخل بوحدة الموضوع.

٨ـ جاءت ضمائر المخاطبة في بعض المواضع من القرآن الكريم بصور لا يتناسب معها قطع القراءة عند علامات التجزئة؛ إذ يكون التوقف عندئذ مؤديا للإخلال بتماسك الآيات، ومن ذلك أن يكون الخطاب مستمرا، فضمير الخطاب قبل العلامة وبعدها هو محور الكلام، والغرض من الخطاب واحد.

٩ـ ليس من الصواب لمن يقرأ قصة أن يقطع قراءته عند جزء من حوار قصير منها، هذا في الكلام العادي فما بالنا بالقرآن الكريم الذي أمرنا الله بتدبر آياته. ومما يعيق الفهم أيضا أن يكون ثمة حوار فينقطع عند سؤال أحد الطرفين ثم تأتي بعد ذلك لتبدأ بالإجابة عن ذلك السؤال الذي تركته. والحقيقة هي أن كثيرا منا يفعل ذلك حين يقسم قراءته وفقا لعلامات التجزئة في المصحف الشريف.

١٠ـ ما بعد اسم الإشارة يرتبط في كثير من المواضع بما قبله، فهما عندئذ موضوع واحد لا يصح تجزئته. غير أن علامة التجزئة لم تراع هذا الأمر، فجاءت لتفصل بين اسم الإشارة وما يحيل إليه في بعض المواضع، وترتب على ذلك أن كثيرا من القارئين تعمدوا الفصل بين عنصر الإحالة والمحال إليه، فكان في ذلك إخلال بالوحدة الموضوعية للآيات.

١١ـ يمكن استخدام اسم الإشارة لتكون له إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل، وذلك ما أطلق عليه (الإحالة الموسعة)، وهذا النوع من الإحالة لا يربط عنصرا سابقا بعنصر لاحق، بل يربط خبرا بخبر، وجاء هذا النمط من الإحالة عند رأس أحد الأرباع، فكانت علامة التجزئة فاصلا بين الخبرين اللذين ربط اسم الإشارة بينهما.

١٢ـ المعطوف المفرد يأخذ المعنى النحوي نفسه للمعطوف عليه، ومن ثم فإن الصلة بينهما تكون من القوة بالمكان الذي لا يجوز معه القطع على أحد الركنين دون الآخر. ومن ثم فمن غير المقبول أن يجعل القارئ علامة التجزئة علامة للقطع إن هي فصلت بينهما. ولا يختلف الأمر في عطف الجمل المشتركة في الوظيفة النحوية؛ فإن كان المعنى النحوي للجملة المعطوف عليها يسري إلى الجملة المعطوفة من خلال أداة العطف فذلك يعني أن هذه الأجزاء تؤدي معنى أراد صاحبه أن يبلغه جملة واحدة من غير تفكيك. وتكون الصلة بين الجملتين أقل وضوحا إن كان الذي بينهما مجرد مناسبة معنوية، ويظل الأولى هو ترك التجزئة مادام الموضوع واحدا.

١٣ـ جاءت علامة التجزئة لتفصل بين الجمل المعطوفة التي كان المخبر عنه فيها واحدا، فكان ذلك بمثانة فصل لأجزاء الموضوع الواحد.

١٤ـ يقوى التماسك بين الجمل المعطوفة إذا كانت موجهة إلى مخاطب واحد، فعندئذ لا يجوز الفصل بين هذه الجمل لكونها ذات غرض واحد.

١٥ـ ويتخطى العطف أحيانا حدود الربط بين جملتين إلى ما يسمي بعطف قصة على قصة، فإذا كانت كل قصة تشكل بنية سردية مستقلة فإن إفرادها بالقراءة لا يؤدي إلى ذلك الخلل الدلالي الذي يكون حين يقطع التقسيم توالي الأحداث حين يكون المشهد واحدا. فإن طالت أحداث القصة الواحدة فلا مانع أن تأتي علامة التجزئة لتفصل بين مشاهدها.

١٦ـ قد ترتبط الجمل بما قبلها من غير أن يكون ذلك عن طريق العطف، كالعلاقة بين جملة الخبر والمبتدأ، أو بين جملة الصفة والموصوف، أو بين جملة الحال وصاحبها، وتلك العناصر التركيبية المتلازمة لا ينبغي أن يفصل بينها بعلامة تتيح للقارئ أن يقطع التلاوة على ركن دون الآخر.

١٧- غالبا ما يكون تقدير المحذوف مبنيا على سياق النص المتقدم قبل موضع الحذف، لذا عدّ النصيون "الحذف" إحدى وسائل الاتساق، ومما يترتب على ذلك أن التركيب اللغوي الذي ينطوي على حذف يفسره ما سبقه لا ينبغي أن يكون موضع استئناف بعد قطع، أي أنه من دواعي فهم ذاك المحذوف أن يتصل بما سبقه إن كان فيه إظهار للمقصود.

١٨- الاتساق النصي الحاصل من تكرار العنصر المعجمي قد يكون فيها عامل ربط قوي يجعل التركيبين المتضمنين لهذا العنصر كالنسيج الواحد، وحينئذ يكون التوقف عن التلاوة عند أحد العنصرين دون الآخر مخل بالمعنى. وتقل فاعلية التكرير كوسيلة للاتساق النصي إذا جاء العنصر المكرر في صدر وحداتٍ ذات أفكار مختلفة.

١٩- أتت علامة التجزئة في كثير من المواضع في المصحف الشريف لتفصل بين المتضادين، فكان التوقف عن التلاوة اتباعا لهذه العلامات إهدرا للتماسك الكائن بين أجزاء النص حال تواصلها.

اقتراح

بناء على ما جاء في هذا البحث من أن قطع القراءة عند علامات التجزئة في المصحف الشريف يؤدي إلى الإخلال بالتماسك بين الآيات في كثير من المواضع يقترح الباحث على اللجان القائمة على طباعة المصحف الشريف القيام بأحد أمرين:

أولا: أن تترك هذه العلامات في المصحف الشريف مراعاة لما اعتاد عليه الناس لاسيما الحفظة الذين جعلوا رؤوس الأرباع علامات يميزون بها محفوظاتهم فيقولون مثلا راجعت ربع (ليسوا سواء) في آل عمران أو حفظت ربع (ليس البر) في سورة البقرة، بل إن سألتهم عن آية، فإنهم يقولون: تجدها في سورة كذا في ربع كذا. لكن ينبغي حينئذ أن تكون ثمة علامات أخرى ترشد الناس إلى المواضع التي يحسن عندها انقطاع القراءة، وهذا ما أسماه ابن الجزري بـ(القطع)[١] ولتكن علامات القطع هذه على الهوامش الجانبية للمصحف، أي بجانب علامات التجزئة. وتطبيق هذا الاقتراح هو الأرجح.

ثانيا: يتم وضع علامات تجزئة تراعي الوحدة الموضوعية للآيات مع عدم إغفال مسألة الكم ما تيسر ذلك[٢]. ولا شك في أن هذا الأمر لا يمكن ضبطه بصورة دقيقة، لكن القائمين عليه ـ على أدنى تقدير ـ قادرون على أن يجتنبوا ما اعترى التقسيم القائم من إهدار للجانب الموضوعي، فينبغي ألا نرى فيه مثلا وضع علامة للربع قبل نهاية السورة بثلاث آيات كما هو كائن الآن في (سورة العاديات) أو جعلها بعد خمس آيات من بداية السورة كما هو في (سورة هود) أو غير ذلك مما يقطع اتساق الآيات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

[١] قال ابن الجزري: "والقطع عندهم عبارة عن قطع القراءة رأسا، فهو كالانتهاء. فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة، كالذي يقطع على حزب أو ورد أو عشر أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك مما يؤذن بانقطاع القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة." النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، راجعه علي محمد الضباع ٢٣٩/١

[٢] تقوم لجنة (مصحف الفاتح) بمملكة البحرين بوضع علامات جديدة للتجزئة تراعي الجانبين الموضوعي مع الكم.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبحاث في علوم القرآن، د/ غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢- أحكام القرآن، لابن العربي، راجع أصوله محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

٣- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين والكوفيين، لأبى البركات الأنبارى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، وضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٥- الإيضاح في القراءات، لأبي عمرو الأندرابي، تحقيق منى عدنان غني، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت،٢٠٠٢م.

٦- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٧- إيضاح الوقف والابتداء، للأنباري، تحقيق/محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.

٨- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، حققه عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٩- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٨م

١٠- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

١١- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب،القاهرة،٢٠٠٣م.

١٢- البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٤م.

١٣- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م

١٤- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبد الله القرطبى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٦- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

١٧- الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

١٩- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، دكتور سعيد بحيري، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢١- دينامية النص: تنظير وإنجاز، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. بدون تاريخ

٢٤- سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط، آخرون، دار الرسالة العلمية، ٢٠٠٩م.

٢٥- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوى المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢٦- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بني غازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٧- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبى، القاهرة ، بدون تاريخ.

٢٨- علل الوقوف، للسجاوندي، تحقيق محمد عبد الله العبيدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٩- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيرى، مكتبة لبنان ناشرون ـ الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٣٠- الفاصلة القرآنية، محمد الحسناوي، دار عمار، عمّان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٣١- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، للجامي، دراسة وتحقيق د. أسامة طه الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجمهورية العراقية ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٢- القطع والائتناف، للنحاس، تحقيق/ عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٩٢م.

٣٣- القوافي، للأخفش، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، دار الأمانة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٣٤- القوافي، للقاضي أبي يعلي، تحقيق/ د. محمد عوني عبد الرؤوف، دار الكتب والوثائق، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٣٥- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م

٣٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشرى، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م

٣٧- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ـ محمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٣٨- كنوز ألطاف البرهان في رموز أوقاف القرآن، محمد الصادق الهندي مطبوع بالمطبعة الكاستلية - القاهرة ، سنة ١٢٩٠هـ

٣٩- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، د.محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط١، ١٩٩١م.

٤٠- اللغة العربية معناها و مبناها ، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

٤١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، طبعة مصرسنه ١٨٦٥م.

٤٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء، القاهرة.

٤٣- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية ـ جدة ـ الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٨م.

٤٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بدون تاريخ.

٤٥- مشكل إعراب القرآن ، مكى بن أبى طالب ، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٤٦- مصحف التفسير الموضوعي للحافظ المتقن، حراء للطباعة والنشر، البحرين، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٤٧- مصحف التفصيل الموضوعي، دار الفجر الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٤٨- معانى القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٤٩- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤٣٥/٣، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٥٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٥١- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأشموني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢ ١٩٧٣م

٥٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني، تحقيق: د.محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس. الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.

٥٣- الموشح، للمرزباني، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٥٤- نثر المرجان في رسم نظم القرآن، محمد عوث الآركاتي، مطبوع بمطبعة شمس الإسلام ببلدة حيدر اباد الركن سنة ١٣٢٩هـ

٥٥- نحو آجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، مجلد (١٠)، العدد ٢، يوليو ١٩٩١.

٥٦- النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م

٥٧- نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٥٨- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، راجعه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥٩- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٦٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ

٦١- نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، للأسنوي، تحقيق/ د. شعبان صلاح، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٦٢- الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، أشرف على تحقيقه د. الشاهد البوشيخي، نشرته جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٦٣- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، عني بتصحيحه السيد محمد بدر النعساني، نشره محمد أمين الخانجي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ.